

أساليب تنمية مهارات التواصل لدى الأطفال Methods of Developing Children's Communication Skills

د. هاني جرجس عياد¹

hanagerges2005@yahoo.com

ملخص:

تعد تنمية مهارات الطفل الاجتماعية من الأمور المهمة التي يواجهها الأهل مع أطفالهم، فصقل الشخصية ودمجها في المجتمع بالأساليب الصحيحة تعتبر من الضروريات التي تنعكس إيجابيا أو سلبيا على شخصية الطفل. لذلك، من الواجب مساعدتهم على التواصل مع الآخرين بروح إيجابية ورفع قدرتهم على التفاعل بشكل إيجابي لحمايتهم من الاضطرابات النفسية والعنف والانحراف والوحدة وغيرها.

ويتطلب تطوير مهارات التواصل الفعال مع الأطفال الصبر والرغبة في التواصل معهم. يمكنك، بالاستماع الفعال واستخدام اللغة المناسبة لعمر طفلك وتعزيز التعاطف بينكما، خلق بيئة يشعر فيها طفلك بالتقدير الذي يمكنه من تطوير ذكاء اجتماعي عال. ولا تفيد هذه المهارات في نمو الطفل فحسب، بل تضع له أيضا الأساس لإنشاء علاقات صحية وقدرات اتصال قوية طوال حياته. لذلك، تذكر أن التواصل الفعال مع طفلك واستثمار الوقت والجهد في صقل مهاراته الاجتماعية يمكن أن يؤدي إلى اتصالات هادفة ودائمة مع طفلك.

الكلمات المفتاحية: التواصل، مهارات التواصل، الأطفال.

1 - أستاذ علم الاجتماع المساعد - كلية العلوم السياسية - جامعة سليمان الدولية

Abstract

Developing a child's social skills is one of the important issues that parents face with their children. Refining the personality and integrating it into society in the right ways is considered a necessity that reflects positively or negatively on the child's personality. Therefore, it is necessary to help them communicate with others in a positive spirit and raise their ability to interact positively to protect them from psychological disorders, violence, deviance, loneliness, and others.

Developing effective communication skills with children requires patience and a desire to communicate with them. By actively listening, using age-appropriate language, and fostering empathy between you, you can create an environment where your child feels valued and can develop high social intelligence. These skills not only benefit the child's development, but also lay the foundation for him to create healthy relationships and strong communication abilities throughout his life. Therefore, remember that communicating effectively with your child and investing time and effort in honing his or her social skills can lead to meaningful and lasting connections with your child.

Keywords: Communication, Communication Skills, Children.

مقدمة:

كان توماس فريدمان يشير في كتابيه: "العالم مسطح: تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين" و "عالم حار ومسطح ومزدحم: لماذا يحتاج العالم إلى ثورة خضراء وكيف يمكنها أن تجدد مستقبل عالمنا" إلى أن القرن الحادي والعشرين يتحدى الأسس الجوهرية لمجتمعنا ويعيد ترتيبها بطرق جديدة وقوية، فقد أصبحت مهارات التواصل أحد أهم المهارات التي يحتاجها العمل حالياً، وهي مهارات تستغرق وقتاً طويلاً لاكتسابها، ورغم تزايد أهميتها يواجه أطفال اليوم صعوبة في تنميتها بسبب قضاء وقت أقل في اللعب في الهواء الطلق ومزيد من الوقت في الألعاب الإلكترونية وبهذا تقل فرصهم في التواصل مع الآخرين، ولا يتوفر أمامهم النموذج فالآباء أيضاً ينشغلون بالشاشات في معظم الوقت ولا يخصصون وقتاً للتواصل الجيد معهم، فضلاً عن أن استخدام الأطفال في سن مبكرة للبريد الإلكتروني والوسائط الاجتماعية للاتصال بأصدقائهم يؤدي إلى انخفاض فرص الاتصال المباشر ويؤثر سلباً على تنمية مهارات الاتصال، بشكل يثير القلق من ميلهم للعزلة وشعورهم بالخوف من الاتصال المباشر.

وبطبيعة الحال حين يجيد الطفل مهارات التواصل الفعال في سنوات عمره المبكرة يكون قادراً على التعبير عن نفسه بوضوح ونقل مشاعره بطريقة أفضل، ويسهل عليه التعلم وتبادل المعلومات بشكل مفيد مع الآخرين، ويزداد معدل الذكاء الاجتماعي لديه والقدرة على بناء علاقات سليمة مع الآخرين، فضلاً عن أن هذا يجنبه ما تسبب فيه مشكلات التواصل من اضطرابات سلوكية مثل

الاكتئاب والانسحاب الاجتماعي وتدني احترام الذات. كما تدعم مهارات التواصل القدرات المعرفية للطفل إذ يمكنه بسهولة تخطي حاجز القلق وضعف الثقة بالنفس وتوجيه السؤال إلى معلميه وشرح وجهة نظره واكتساب مزيد من المعرفة، وتزيد قدرته على بناء علاقات صداقة قوية مع أقرانه ما يسهم في ثقته بنفسه، وتزيد فرص اجتيازه لمقابلات العمل في المستقبل وبناء علاقات متوازنة مع زملائه.

وباختصار فإن الآباء والأمهات الذين يتواصلون أكثر مع أطفالهم يساعدونهم في تطوير مهارات التواصل بسهولة وهذا يوفر الراحة للطفل في المواقف الاجتماعية وينمي مهارات تعتبر "مفتاح النجاح" في حياته القادمة، ويمتد أثرها لتضمن تحسن الأداء الأكاديمي وحياة مهنية أكثر نجاحا.

ولذلك كله يجب على الأهل ومقدمي الرعاية أن يدركوا جيدا أهمية مهارات التواصل الأساسية في التعامل مع الأطفال، ما يشجع الأطفال بدورهم على التواصل والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، واستقبال الرسائل التربوية والعاطفية من الأهل. ولكن في الواقع هناك بعض المربين يسلكون في تعاملاتهم مع أطفالهم مسالك خاطئة في كثير من الأحيان، لا تمت إلى التواصل الفعال بصلة؛ منها الصراخ ومنها التجاهل ومنها الاستهزاء، ونحن لسنا هنا في صدد الاتهام، وندرك تماما أن تصرفاتهم موروثه ونابعة عن رغبة بتنشئة طفل مستقل ومكثف بذاته، ولكنهم لا يعرفون خطورة ما يقومون به وتأثيره في شخصية الطفل وصحته النفسية، ولا يدركوا السبل الصحيحة لفعل ذلك.

ومن أجل الفئة التي وعت- عبر تلمس نتائج تربية الجيل السابق- إلى مغالطة هذه الأفعال، وشرعت تبحث عن الصواب في كيفية التواصل مع الأطفال وفهم احتياجاتهم العاطفية، نكتب هذا البحث، وفيما يلي نستعرض النقاط التالية:

1- مراحل نمو الإنسان:

تبدأ أولى مراحل نمو الإنسان بعملية الإخصاب التي تنتج عن تلقيح الجاميت الذكري للجاميت الأنثوي؛ إذ يتطور الجنين بعدها ضمن مرحلة الحمل التي تستمر حتى الولادة، أما مراحل نموه التالية ففيها تقسيمات علمية بنيت على احتياجات ومتطلبات كل مرحلة، ومدى اعتمادية الفرد فيها على نفسه في أداء مهماته الذاتية؛ كالحاجات البيولوجية، أو السلوكية، أو الاجتماعية، أو العقلية، ومن الضروري معرفة أنماط المراحل التي يمر بها الإنسان أثناء نموه؛ لما في ذلك من تحليل لاحتياجات كل مرحلة ومتطلباتها وبناء الأفراد خلالها، ومن الطبيعي أن تتسلسل تلك المراحل بابتداء حياة الإنسان لتنتهي بوفاته، إلا أن معظم الباحثين أشاروا إلى المرحلة الأولى التي يبدأ فيها تكون الجنين في بطن أمه من خلال عملية الإخصاب والتقاء الجاميتات؛ لأن تكون تلك المرحلة هي أولى مراحل نمو الجنين لما يظهر فيها من تكوين داخلي لأعضائه الرئيسية، ثم نمو واضح لمعالمه ليكتمل بذلك جسده خلال فترة الحمل، ثم ليظهر حين ولادته بهيئته البشرية مكتملة الخلق.

وباعتبار المرحلة الأولى لنمو الطفل مرحلة الحمل، تظهر تقسيمات المراحل التالية لها بامتداد حياة الإنسان المبتدئة بالولادة باختلاف واضح بما يراه العلماء

مناسبا للفترات العمرية أو الزمنية والمرحلية من عمره، وفيما يأتي عرض لمراحل حياة الإنسان ونموه بناء على مراحل العمرية:

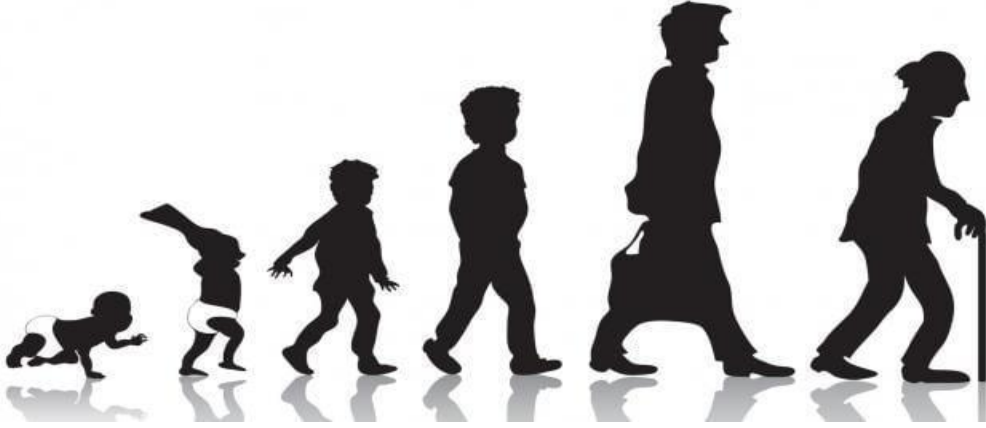
أ- **مرحلة الأجنة:** اتفق العلماء على اعتبار المرحلة الأولى في تخلق الجنين وتكونه فترة حمله جنينا في بطن أمه لتكون أولى مراحل نموه، وتبدأ هذه المرحلة بالتقاء الجاميتين الذكري والأنثوي أثناء عملية الإخصاب، لتمتد إلى طرح الجنين طفلا خارج الرحم.

ب- **مرحلة الطفولة الأولى:** وهي القسم الأول من مرحلتين يعيشهما الإنسان طفلا ابتداء من طرحه خارج الرحم، وتمتد هذه المرحلة إلى السنة السابعة من عمر الطفل.

ج- **مرحلة الطفولة الثانية:** القسم الثاني من مرحلة الطفولة، تبدأ عند السنة السابعة من عمر الطفل وتنتهي ببلوغه اثنتي عشرة سنة.

د- **مرحلة المراهقة:** وأبرز ما يميز هذه المرحلة هو بلوغ الطفل لتنتهي طفولته ويبدأ شبابه، والسن البائدة فيها هي سن الثالثة عشرة من عمر الإنسان، وتنتهي هذه المرحلة ببلوغه السنة الحادية والعشرين من عمره.

هـ- **مرحلة الرشد:** تبدأ هذه المرحلة بانتهاء مرحلة المراهقة عند السنة الحادية والعشرين من عمر الإنسان، وتمتد إلى شيخوخته.



إن من عجائب النوع الإنساني ما يمر به الكائن البشرى من أطوار مختلفة في رحلة العمر، من الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب فالكهولة فالشيخوخة. في كل من هذه المراحل العمرية يتغير المرء، جسدا وشعورا، حتى وكأنه يصير شخصا آخر جديدا. يلعب في كل مرحلة دورا مختلفا في المجتمع، ويندمج مع آخرين من مراحل عمرية مختلفة. يبدو هذا التفاعل بين الأجيال "مصمم" على نحو ما لإثراء حياة الفرد نفسه عبر رحلة حياته، وكذا لتكوين مجتمعات مثمرة ومتعاونة. في المجتمعات والأسر، يعيش البشر من مراحل عمرية مختلفة معا. يتعلمون من بعضهم البعض، ويتساندون على بعضهم البعض. في هذا التعايش بين الأجيال المختلفة سر من أسرار نجاح الجنس البشرى وتفوقه على كافة الأنواع الأخرى عبر رحلته على الأرض.

ويتمتع البشر بأعمار أطول مقارنة بأغلب الحيوانات، باستثناء المعمرة منها كبعض أنواع السلاحف. ليس هذا فقط ما يميزنا. نحن أيضا نقضى فترة مديدة في مرحلة الطفولة أطول من أي كائن آخر على ظهر الأرض، بما في ذلك

الرئيسيات الأقرب إلينا. فرد الغوريلا يصير بالغاً في سن السادسة، أما الشمبانزي فيصبح جاهزاً للتكاثر في سن الثامنة. في هذه السن يكون الكائن البشري بالكاد في منتصف مرحلة الطفولة. فما السر إذن وراء هذه الطفولة الطويلة؟! إذ يعرف سن الطفولة وفقاً لعلم النفس التنموي على أنه الفترة التي تكون بين مرحلة الولادة إلى مرحلة البلوغ، إلا أن أخصائيي التربية اختلفوا حول متى ينتهي سن الطفولة، فمنهم من حدد وقت انتهائه بسن البلوغ، ومعظم الدول قد حددت انتهاء سن الطفولة بشكل قانوني ورسمي عند بلوغ الثامنة عشرة أو الواحد والعشرين كما سنوضح لاحقاً.

وحيث إن الثابت أننا نعيش حياة معقدة. إذن لكي نصير عضواً في أي مجتمع بشري عليك إتقان الكثير من المهارات وتعلم أشياء كثيرة، أهمها كيفية حل المشكلات باستخدام التفكير العقلي. ولو أنك نظرت إلى الأطفال لوجدت أن ما يفعلونه عبر ساعات اليوم هو اللعب. هذا، في واقع الأمر، هو عمل الأطفال. إنه أيضاً الهدف من الطفولة ذاتها. اللعب هو عملية اكتشاف الطفل للعالم المعقد، سواء العالم الفيزيائي، أو العالم الاجتماعي. اللعب جزء مهم من النمو العقلي للطفل، إذ يكتسب من خلاله مهارات مهمة في التفاعل الاجتماعي والتحكم في المشاعر وحل المشكلات والإبداع.

ويمكننا القول بصفة عامة إن أكثر ما يستمتع به الطفل هو أن يتظاهر بأنه شخص آخر، نينجا أو سنو وايت أو بات مان. هو يتصور أيضاً الأشياء العادية في هيئة أشياء أخرى، فتنحول علبة الكبريت الفارغة إلى عربة أو طائرة. إنها

البدايات الأولى للتفكير الرمزي الذي يميز البشر ويعد ربما العنصر الأهم في طريقة صناعتهم للحضارة. نحن البشر نعشق الرموز التي تشير للأشياء والمعاني، وتحل محلها. نجعل من الأهرام رمزا للخلود، ومن قطع المعدن والورق رمزا للثروة، ومن الكلمات والأعداد رموزا للتفكير المركب. في طفولتنا الباكرة نتعلم، لعبا ولهوا، هذه المهارة النادرة: صناعة الرموز، والتفكير الرمزي.

وخلال اللعب أيضا يجرب الأطفال أشياء وأفكارا جديدة، عبر التبادل والتوافق، ويراقبون النتائج في كل مرة. لا خوف عليهم من الخطأ لأن كله لعب في لعب. هذا تقريبا ما يفعله العلماء، بصورة أو بأخرى!. المشكلة أن هذه النزعة للتجربة والإبداع الحر تتراجع مع تقدمنا في العمر، وانخراطنا في الماكينة الصارمة المسماة المجتمع البشري.

ومن ثم تعتبر الطفولة فترة لعب واكتشاف وتعلم، حيث يكتسب الطفل أثنائها المعرفة والمهارات التأسيسية والقيم الأساسية التي تشكل أساس تفكيره وسلوكه في الحياة اللاحقة، الطفولة تعتبر أيضا فترة للرعاية والحماية، حيث يحتاج الأطفال إلى الحب والاهتمام والاستقرار العاطفي والبيئة الآمنة لينمو ويزدهر بشكل صحي ومتوازن.

يمر الإنسان إذن في حياته بمراحل عمرية متتابعة تتخللها سلسلة من التطورات النمائية تبدأ منذ ولادته مروراً بالمرحلة، والشباب، والكهولة حتى تنتهي بالوفاة، أما مرحلة الطفولة فهي مرحلة الارتكاز الأساسي في بناء الشخصية الإنسانية وأبعادها وأنماطها، ففهم هذه المرحلة ومعرفة خصائصها النمائية له أهمية كبيرة

في تكوين شخصية الطفل، كما أن التنشئة الاجتماعية والأسرية السليمة، والسعي الدائم لفهم حاجات الطفل النفسية والاجتماعية والجسمية، وتقديم أساليب التربية السليمة تنتج فردا ناجحا متوافقا مع ذاته ومع الآخرين من حوله. وعلى أي حال، وبرغم أن لكل مرحلة عمرية رونقها وإسهامها في تكوين شخصية الإنسان، فإن المرء لا يسعه سوى أن يردد مع المتنبي:

"وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمَّيْ ... مُسَوِّدَةٌ وَلَمَاءٌ وَهَمِّي رَوْثٌ".

2- تعريف الطفولة

تبلغ الطفولة من الأهمية منزلة عظيمة، إذ هي أحد أهم مراحل حياة الإنسان، والتي تتصف بالنمو المستمر والتطور الملحوظ جسديا وعقليا، ويعيش الطفل هذه المرحلة باعتماد كلي أو نسبي على والديه وأخوته أو باقي أفراد أسرته المحيطة، إذ يصعب عليه أداء المهمات المختلفة بشكل مستقل كليا في المراحل الأولى من طفولته، وقد برز للطفولة معان وتعريفات عديدة، منها ما يأتي:

أ- **الطفولة لغة:** تبدو معاجم اللغة متفقة في تعريفها لمفهوم الطفولة، إذ تشير في معظمها إلى تعريف مشترك يرمز إلى مرحلة زمنية من حياة الإنسان، فأقرت في تعريفها للطفولة بأنها فترة أو مرحلة بين ميلاد الإنسان وبلوغه.

ب- **تعريف الطفولة اصطلاحا:** يشترك المعنيان اللغوي والاصطلاحي للطفولة بالإشارة إلى كونها مرحلة زمنية من عمر الإنسان، تبدأ بولادته وتظهر فيها خصائص معينة تمتد لفترة من الزمن، ليدخل الكائن البشري بعدها مرحلة أخرى. والطفولة اصطلاحا هي المرحلة الزمنية من عمر الطفل التي تمتد منذ ولادته

حتى بلوغه، وتعتبر الطفولة أولى مراحل حياة الإنسان بعد ولادته، وهي مرحلة النشأة البدنية وتكوين الشخصية، غير أنها مختلفة الحدود النهائية لمراحلها، فلا اتفاق يوطر نهايتها بشكل واضح. ويمكن الاستدلال على الفترة الزمنية أو المرحلة العمرية التي تحدد مرحلة الطفولة من خلال تعريف الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل التي عرفت الطفل بأنه (كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه)، ويحدد هذا التعريف انتهاء مرحلة الطفولة واقعا ببلوغ الرشد، وقد يمتد ذلك حتى السنة الثامنة عشرة من عمر الإنسان كما رجحته الاتفاقية. ويرى البعض أن مرحلة الطفولة قد تمتد إلى ما بعد العام العشرين من العمر؛ إذ هو السن الذي يكتمل فيه النمو البدني عند معظم الأفراد ليلبغوا بذلك نضجهم، وقد يتفاوت سن الطفولة من جيل إلى جيل أو من شعب لآخر؛ إذ هي مقترنة بالنضج البدني والاعتماد على الذات في أداء المهمات باستقلالية الفرد عن بيئته الخاصة.

ج- الطفولة في قاموس علم الاجتماع: يشير تعريف الطفولة في قاموس علم الاجتماع إلى إمكانية تحديد سن للطفولة كمرحلة من مراحل حياة الإنسان بالاتفاق والاصطلاح المجتمعي، إذ لا اتفاق ثقافي تحده الشعوب والثقافات لهذه المرحلة، إنما تتفق الثقافات في كون الطفولة مرحلة عمرية تبدأ بالولادة وتنتهي بالرشد أو البلوغ دونما تأطير للسن الذي يحدث فيه الرشد أو البلوغ، ويعرف قاموس علم الاجتماع مرحلة الطفولة بأنها: (الفترة الزمنية من عمر الإنسان التي

تبدأ بولادته وتمتد حتى رشده، مع اختلافها من ثقافة لأخرى)، ويحدد القاموس نهايتها بالرشد أو البلوغ أو الزواج أو الاصطلاح على سن تحدد نهايتها.

د- الطفل كمصطلح قانوني: يتم تعريف مصطلح الطفولة من الناحية القانونية على أنه حالة تصف تبعية الأفراد للأشخاص البالغين، كونهم غير قادرين على الاعتناء بذاتهم، ولافتقارهم لكل من الكفايات المعرفية، والعاطفية لحقوق الكبار، وهنا نجد أن عدم النضج النفسي يعد أحد المعايير الأخرى التي يستند إليها تعريف مصطلح الطفل، وبالتالي فإن تعريف الطفولة يندرج تحت خانة العديد من الأحكام الثقافية المعقدة على رأسها قضية النضج وعدمه، وكذلك القدرات المفترضة التي يمتلكها الأطفال، ومدى اختلافهم عن الأشخاص البالغين، ومن هنا نلاحظ أن الطفولة هي فئة اجتماعية، وليست مجرد طبيعة بشرية.

هـ- تعريف اليونيسيف للطفولة: إن الطفولة من وجهة نظر اليونيسيف هي تلك الفترة التي يحصل فيها الأطفال على التعليم المناسب لهذه المرحلة، ويمارسون فيها اللعب، في ظل بيئة مفعمة بالحب والدعم من البالغين بما في ذلك كل من عائلاتهم ومجتمعاتهم، بعيدا كل البعد عن مشاعر الخوف الناتجة عن الإيذاء والاستغلال والعنف وغيره، ومن هنا نجد أن هذه المنظمة تنظر إلى مفهوم الطفولة على أنه مفهوم أعمق بكثير من المرحلة التي يعيش فيها الإنسان بين لحظة الولادة وصولا للبلوغ، حيث تركز على الوضع المعيشي الذي يعيش فيه الطفل، وعلى نوعية الحياة التي يمارسها خلال تلك السنوات.

و- **المفهوم الطبي للطفولة:** تعرف الطفولة من الناحية الطبية على أنها تلك الفترة التي يعيش فيها المواليد الذكور والإناث منذ ولادتهم وصولاً إلى بداية فترة البلوغ، حيث يترتب على الآباء والأمهات أن يعتنوا بأبنائهم خلال تلك الفترة، من خلال تقديم كافة الإمكانيات اللازمة لإعداد شخصية إنسانية مناسبة لهؤلاء الأطفال.

إذن يمكن الحديث عن الطفولة بوصفها أنها تلك المرحلة التي يتمتع فيها الأطفال باللعب والتعليم، وهي المرحلة التي يتم فيه مساعدة الأطفال على النمو بقوة وثقة بغمرهم بالحب والتشجيع من قبل العائلة والمجتمع. تعتبر فترة الطفولة مهمة؛ حيث يتمتع فيها الطفل بمجموعة من الحقوق تشتمل على الأمن، والحماية من الاستغلال والإيذاء، والحماية من العنف بأشكاله، وهي بذلك تتعدى كونها الفترة الواقعة بين الولادة وسن البلوغ إلى كونها تعبر عن نوعية الحياة التي يعيشها الطفل في ذلك الوقت.

3- مميزات مرحلة الطفولة

تميز مرحلة الطفولة مجموعة من الخصائص النفسية والذهنية التي يعيشها الأطفال، والتي تعتبر مهمة جداً من أجل معرفة كيفية التعامل مع الأطفال وتعزيز الجوانب الإيجابية في شخصيتهم، ومن مميزات هذه المرحلة ما يلي:

أ- فهم سطحي للأمور المحسوسة.

ب- سهولة قبوله للتوجيه السلوكي.

ج- عفوية المشاعر وتلقائية العواطف النفسية، وضعف السيطرة العقلية.

- د- رغبة قوية بتكوين الصداقات واللعب مع الأقران.
- هـ- روح الاستكشاف والفضول المعرفي، والرغبة في تطوير المهارات الخاصة.
- و- ضرورة وجود قدوة إيجابية واقعية.
- وعلى ذلك، تعتبر الطفولة مرحلة هامة وأساسية من عمر الشخص حيث تشغل ما يقارب ربع حياته ولأحداثها آثار قوية وواضحة في بقية عمره سواء أكان ذلك في سلوكه أو صفاته الشخصية. وتأتي أهمية الطفولة من الأسباب التالية:
- أ- تعتبر مرحلة الطفولة مرحلة الضعف بالنسبة للإنسان، حيث يحتاج خلال هذه المرحلة إلى الرعاية والعناية بشكل دائم في جميع شؤونه من شؤون بدنية أو نفسية أو اجتماعية.
- ب- يترك التوجيه الذي يتعرض له الطفل خلال هذه الفترة أثرا كبيرا على الطفل وعلى قدراته العقلية، فالتجربة السلبية ستؤدي إلى التأثير في شخصية الطفل بشكل سلبي، وطريقته في الكلام والمشي.
- ج- تساهم العناية والاهتمام بالجوانب العقلية للطفل على نموه العقلي ونجاحه، فعادة ما يكون قد توفر للأطفال الأذكى ظروف بيئية خاصة ساعدتهم على الإبداع عندما كبروا.
- د- يؤدي إهمال الجوانب البدنية والصحية للطفل إلى سوء صحته وضعف في النمو البدني، لهذا يجب الحرص على تقديم تغذية متوازنة وعناية صحية، بالإضافة إلى الحفاظ على إبقاء الطفل نظيفا كي لا يمرض.

وعلى الرغم من أن الإنسان يمر خلال فترة حياته بعدة مراحل عمرية مهمة، بحيث يكتسب في كل مرحلة من هذه المراحل عادات وأفكار وقيم، وأخلاق ومهارات تساعد على بناء شخصيته وتكوينها، وصياغة المستقبل الذي ينتظره، إلا أن مرحلة الطفولة تعتبر من المراحل المهمة جدا، لكونها تعد حجر الأساس الذي ستبنى عليه المراحل التي تليها.

وتشير الدلائل على أن نجاح الإنسان، وتطوره، وتمتعه بصحة جسدية ونفسية جيدة، وما هو عليه الآن مرتبط ارتباطا وثيقا بتربيته التي تلقاها في مرحلة الطفولة المبكرة، فالأطفال الذين يحصلون على تربية مناسبة وناجحة في سنواتهم الأولى، يتوقع منهم أن يكونوا أطفالا متميزين في مراحلهم الدراسية وحياتهم بشكل عام، كما أن طبيعة البيئة التي ينمو فيها الطفل وتوافر الخبرات المناسبة في التربية تمنح الطفل النمو السليم والتطور الطبيعي في بنية دماغه، ولذلك فإن للمدرسة دورا مهما وفاعلا في تربية الطفل ونشأته بأن تكون بيئة داعمة تعزز نمو الطفل وتمنحه التعليم المناسب.

4- مراحل الطفولة

يمكن تقسيم مرحلة الطفولة عند الإنسان إلى أقسام عدة؛ بناء على الخصائص، والمراحل التي يمر بها الفرد خلال هذه المرحلة، علما بأن مرحلة الطفولة البشرية تتسم بطولها نسبيا كما سبق الذكر؛ حيث تعد أطول مرحلة بين مراحل الطفولة لدى الكائنات الحية المختلفة. وفيما يلي بيان بهذه المراحل بصورة موجزة:

أ- مرحلة الطفولة المبكرة

اتفق العلماء على أن هذه المرحلة تبدأ في عمر 3 سنوات لدى الطفل، وتستمر إلى عمر 6 سنوات، حيث تتم تسميتها في العادة بمرحلة رياض الأطفال، أو ما قبل المدرسة، علماً بأن هناك عدة خصائص تتميز بها هذه المرحلة، والتي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

- **النمو الجسمي:** في هذه المرحلة يزداد طول، ووزن الطفل، حيث يتراوح معدل طوله ما بين 90-120سم، ويزداد وزنه بمعدل كيلو جرام واحد في السنة، ويبدأ الطفل في هذه المرحلة باستخدام عضلاته الكبيرة، ومن هنا يمكن أن نلاحظ أن النمو الجسمي في هذه المرحلة يكون بشكل متسارع.
- **النمو الحركي والحسي:** في بداية هذه المرحلة يكون النمو الجسمي غير متناسق؛ وذلك بسبب عدم وصول الطفل إلى النضج في العضلات الدقيقة، ومع تقدم السن لدى الطفل، يصبح النمو الجسمي أكثر تناسقاً، حيث يصبح الطفل قادراً على المشي، والقفز، كما يكون البعد المكاني لدى الطفل في هذه المرحلة متدنياً؛ ولهذا لا يستطيع التعرف على الاتجاهات، إلا أنه مع نهاية المرحلة، يبدأ الطفل بتعلم الإمساك بالأشياء، مثل: الملاعقة، والأقلام، ويبدأ بإدراك البعد المكاني للأشياء، والاتجاهات.

- **النمو الفسيولوجي:** يستطيع الطفل في هذه المرحلة ضبط عمليات الإخراج لديه (التبول)، وعلى العكس من مراحل الطفولة السابقة، فإن ساعات النوم لديه تبدأ بالتدني تدريجياً، ويصبح التنفس أكثر انتظاماً، ويقل عدد نبضات القلب لديه.
- **النمو العقلي:** وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل بالتحدث بشكل جيد؛ ولذلك تبدأ أسئلته بالظهور، كما أنه يكون اجتماعياً يحب الاختلاط، والتعرف على الآخرين، وغالباً ما يكون لديه الفضول؛ لمعرفة ما يدور حوله، ثم يصل الطفل إلى مرحلة الاستكشاف، فيحطم بعض الألعاب؛ لمعرفة ما بداخلها، والأمر المهم في هذه المرحلة أن مستوى نكاء الطفل يبدأ بالارتفاع؛ ولذا فإنه يصبح قادراً على تمييز الأشياء، وإدراك المفاهيم المجردة، مثل الخير، كما ينمو لديه الخيال غير الواقعي؛ فيستخدم الدمى، والألعاب الإيمائية، وتتكون لديه أحلام اليقظة.
- **النمو الانفعالي:** وفي هذه المرحلة يعبر الطفل عن بعض مشاعره، مثل: الغضب، والخوف، عن طريق الاستجابات الجسمية، وغالباً ما تتسم مشاعر الطفل في هذه المرحلة بالعنف، والغضب، والتطرف، كما يتصف الطفل بالمزاجية، علماً بأن أهم ما يميز هذه المرحلة هو تمركز الطفل حول نفسه، وممتلكاته؛ فلا يحب أن يشارك الآخرين بألعابه، إلا أن هذه الانفعالات تقل تدريجياً مع نهاية هذه المرحلة، ويبدأ النمو الانفعالي بالوصول إلى الثبات، وتبدأ حدته تقل تدريجياً.

وملخصا لما سبق يمكن القول بأن مرحلة الطفولة المبكرة هي المرحلة التي تسبق الالتحاق بالمدرسة، حيث تبدأ من بداية العام الثالث وحتى نهاية العام السادس من عمر الطفل، ويتميز نمو الطفل في هذه المرحلة بانخفاض نسبي في السرعة مقارنة في المرحلة السابقة (مرحلة الرضاعة)، إلا أن النمو الشخصي والانفعالي يكون سريعا فيصبح الطفل منفتحا على تعلم الكثير من الخبرات والمهارات الجديدة، كما يكون الطفل غالبا في هذه المرحلة قادرا على الاستعداد لبدء تعلم التحكم بعملية الإخراج واعتماده على نفسه في ضبطها، ويظهر أيضا حب الطفل وفضوله لاكتشاف كل ما يحيط به في بيئته، بالإضافة إلى السرعة في اكتساب الكلمات وارتفاع المحصلة اللغوية، وتطور النمو اللغوي الكلامي، وظهور الصورة العامة لشخصية الطفل وتكوين وبناء المفاهيم والقيم الاجتماعية، والقدرة على التمييز بين الصح والخطأ، بالإضافة إلى تطور قدرة الطفل على التحكم بعضلاته، واكتساب المهارات الحركية الجديدة كالقفز والتسلق وغيرها.

ب- مرحلة الطفولة الوسطى

تسمى هذه المرحلة بمرحلة الطفولة الهادئة؛ وذلك بسبب انخفاض معدل النمو الجسدي لدى الطفل مقارنة بالمراحل السابقة، وتبدأ هذه المرحلة من سن 7 سنوات إلى سن 12 سنة، وقد تم تصنيف هذه المرحلة في بعض الكتب ضمن مرحلتين: الأولى تسمى بالمرحلة المتوسطة؛ وهي تمتد من عمر 7-9 سنوات، والمرحلة الأخرى تسمى بالمرحلة المتأخرة؛ وهي تمتد من عمر 10-12 سنة،

إلا أنه يمكن دمج هاتين المرحلتين معا؛ وذلك بسبب ارتباطهما كثيرا ببعضهما، وخاصة أن الطفل يدخل إلى المدرسة، ويبدأ النمو المتسارع لديه في الجوانب جميعها، وفيما يلي نذكر أهم الخصائص التي تميز هذه المرحلة:

- **النمو الجسمي:** إن من أبرز ما يحدث خلال هذه المرحلة هو استبدال الطفل لأسنانه اللبنية بالأسنان الدائمة، إضافة إلى أنه يتمكن من التحكم بشكل أفضل في عضلاته الدقيقة؛ أي يستطيع الأكل وحده، والإمساك بالقلم بشكل أكثر دقة، ومن المهم التنبيه إلى أن النمو الجسمي في هذه المرحلة يكون بطيئا مقارنة بالمراحل السابقة، كما أن نمو القلب لديه يكون أيضا بشكل بطيء علما بأن حجم الرأس يصل إلى الحجم المناسب.
- **النمو الفسيولوجي:** في كل مرحلة يتقدم فيها الطفل بالعمر، تبدأ ساعات نومه تقل تدريجيا، وعلى العكس من المرحلة السابقة، فإن الطفل يكون قادرا على التحكم في عمليات الإخراج لديه بشكل كامل، كما تنخفض نبضات قلبه أكثر فأكثر.
- **النمو الحسي:** يبدأ النمو اللغوي في هذه المرحلة بالتسارع؛ بسبب دخول الطفل في سن المدرسة، مما يمكنه من معرفة الحروف الهجائية، وتمييز الأعداد، وإدراك الألوان، وتكون الأعضاء الحسية لديه قد تطورت بشكل ملحوظ، فيصبح قادرا على سماع، وصف الأشياء بدقة.

• **النمو العقلي:** بما أن الطفل بدأ في دخول المدرسة، فإن النمو العقلي لديه يزداد تدريجياً، مما يؤدي إلى ازدياد الحصيلة اللغوية لديه، ويكون قادراً على الكتابة، والقراءة، وتبدأ عمليات التذكر المبنية على الفهم، وتزداد قدرته على التركيز، فيتمكن من التفكير المجرد، ونعني بهذا: أن الطفل يبدأ بالتفكير في معاني الكلمات، ويصبح الخيال لديه أكثر واقعية.

• **النمو الانفعالي:** يتمكن الطفل من التعبير عن مشاعره عندما يصل إلى هذه المرحلة؛ ولذلك فإنه يكون قادراً على التعبير عن حبه لوالديه، وغالبا ما يكثر الطفل من الضحك، والمرح، علماً بأنه قد تنتج لديه بعض العادات المضطربة، مثل: مص الإبهام، والتبول اللاإرادي؛ ويرجع سبب ذلك إلى دخوله المدرسة، وابتعاده عن والديه.

إن تبدأ هذه المرحلة من السبع سنوات وحتى اثني عشر عاماً، وتظهر فيها رغبة الطفل وقدرته على الاستقلال عن والديه، واتساع دائرة محيطه الاجتماعي؛ نظراً لدخوله إلى المدرسة، والانضمام إلى مجتمعات وجماعات مختلفة بعيداً عن البيئة الأسرية والمجتمع العائلي، بالإضافة إلى تواتر وتواصل عملية التنشئة الاجتماعية في كافة البيئات التي يخرج إليها الطفل، كما يظهر توسع مدارك الطفل العقلية والقدرات المعرفية مع ازدياد القابلية لتعلم المهارات الأكاديمية من القراءة، والكتابة، والحساب، بالإضافة إلى طلاقة القدرة التعبيرية اللفظية والكتابية.

ويستطيع الطفل في هذه المرحلة تعلم الأنشطة المختلفة والألعاب التفاعلية الاجتماعية، بالإضافة إلى تكون اتجاهات الطفل السوية تجاه ذاته مع تواصل نمو الكينونة الفردية والشخصية للطفل وتميزه بها، وتتباين الفروق الجسمية في هذه المرحلة بين الجنسين، ويظهر معها التآلف والتكيف مع الدور الجنسي، كما تختفي النشاطات المزعجة والمفرطة شيئاً فشيئاً مع تقدم في إتقان مهارات التآزر البصري والحركي.

وتسمى أيضاً هذه المرحلة بمرحلة ما قبل المراهقة، وتعتبر مرحلة تمهيدية وتأهيلية لانتقال الطفل من مرحلة الطفولة إلى المراهقة والبلوغ، فتتباطأ سرعة النمو مقارنة مع المرحلة السابقة والمرحلة التالية، فيزداد التمايز والتميط الجنسي بشكل كبير، وتظهر قدرة الفرد على تحمل المسؤوليات والتحكم في الانفعالات، وتوضح الفروق الفردية بين الأطفال في هذه المرحلة؛ نظراً لاختلاف معدلات النمو وسرعته، بالإضافة إلى الاستعداد لتعلم المهارات الحياتية المختلفة، وتكوين القيم الاجتماعية والسلوكية والاتجاهات والميول، وتعتبر هذه المرحلة من أنسب المراحل لإتمام عملية التطبيع الاجتماعي.

ج- مرحلة المراهقة

تعد مرحلة المراهقة من المراحل التي تتكون، وتتشكل فيها شخصية الفرد، حيث تم تعريفها على أنها: المرحلة التي تبدأ بسن البلوغ عند الذكور، والإناث، على حد سواء، وهي تنتهي عندما يصل الفرد إلى مرحلة الرشد، والتي يكون الفرد فيها قد وصل إلى النضج الجسمي، والعقلي، والانفعالي، ولكي يستطيع الفرد الانتقال

إلى المراحل التي تليها بشكل سهل، وسلس، فإن على المجتمع خلال هذه المرحلة إشعاره بالأمان، ومحاولة مساعدته على تأكيد ذاته، والوصول إلى الاستقلالية، فغالبا ما يتصف الفرد بهذه المرحلة بالحساسية، والرعونة، والسرعة في إخراج انفعالاته الداخلية، مثل شعوره بالغضب لأتفه الأسباب على سبيل المثال.

وفي ذلك الصدد، يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك عدة عوامل يمكن أن تؤثر على نمو الطفل، بما في ذلك ما يلي:

أ- **العوامل الوراثية:** تعد الوراثة أحد أبرز العوامل المؤثرة في نمو الطفل، إذ يؤثر الآباء في صفات الأبناء الجسدية المتعددة كالطول والوزن، وكذلك الذكاء والقدرات العقلية، وليس ذلك فحسب، بل يمكن أن تورث الأمراض التي تؤثر على نمو الطفل مثل أمراض القلب والسمنة والسكري؛ مما ينعكس سلبا على نموه.

ب- **الجنس:** يختلف نمو الذكور عن نمو الإناث اختلافا كبيرا، إذ تميل الإناث إلى النضوج بشكل أسرع خلال فترة المراهقة، بينما ينضج الذكور على مدى فترة زمنية أطول، إلا أن الذكور يكونون غالبا أطول وأقوى جسديا من الإناث، وهذه الاختلافات هي ما تجعل الذكور أكثر ملاءمة للأنشطة التي تتطلب قوة بدنية.

ج- **التغيرات البيئية:** تشمل الظروف البيئية جوانب عديدة؛ بما في ذلك البيئة العاطفية التي تتمثل بعلاقة الشخص بالآخرين ومدى ثقته بنفسه، والبيئة الاجتماعية التي تشير إلى القيم والعادات والأعراف، والبيئة التعليمية، وكذلك

البيئة التي عاشت فيها الأم أثناء الحمل ومدى السموم أو الأدوية التي تعرضت لها، وتؤثر هذه الجوانب جميعها في نمو الإنسان. وفيما يأتي توضيح لبعض هذه العوامل البيئية:

- **الأدوية:** يجب على الحامل استشارة الطبيب قبل استخدام أي دواء؛ إذ قد يسبب تناول الأم لبعض الأدوية أثناء حملها عيوباً خلقية أو أضرار أخرى تنعكس سلباً على تطور الطفل بعد ولادته، ومن هذه الأدوية ما يلي:

❖ الأدوية المضادة للصرع (Anticonvulsants).

❖ الأدوية الخافضة للكوليسترول كتركيبية الستاتين (Statins).

❖ الأدوية المميعة للدم مثل الوارفارين (Warfarin).

❖ الأدوية المثبطة للمناعة كتركيبية ميثوتريكسيت (Methotrexate).

- **التدخين والمخدرات والكحول:** قد يترتب على تعاطي الحامل للماريجوانا تراجع النمو المعرفي للطفل، بينما قد يزيد التدخين من خطر حدوث تشوهات في الأطراف، أما تعاطي الكحول أثناء الحمل؛ فقد يسبب متلازمة الكحول الجنينية التي تتميز بحدوث تشوهات في وجه الطفل.
- **تغيرات المناخ ودرجة الحرارة:** قد يؤدي تعرض الأم لدرجات الحرارة المرتفعة إلى الولادة المبكرة، أو ولادة الطفل بوزن منخفض، وغالباً ما

يرتبط تغير المناخ بحدوث تلوث الهواء وانتشار الغبار والدخان، وهذا أيضا ما يجعل الأطفال عرضة لنوبات الربو الشديدة أو الحساسية أثناء نموهم.

د- الهرمونات: تلعب مجموعة من الهرمونات دورا في تحفيز النمو، ومنها ما يأتي:

- **هرمون النمو:** يعرف هرمون النمو باسم الموجه الجسدي أو سوماتوتروبين (Somatotropin)؛ وهو هرمون يصنع في الغدة النخامية، ويحفز نمو وتطور جميع أنسجة الجسم الأساسية، وإذا عانى الطفل من مشكلة صحية ما قللت من كمية هذا الهرمون في جسمه؛ فقد ينمو بمعدل أبطأ بكثير مقارنة بأقرانه.

- **الهرمونات الجنسية:** والتي تشمل هرموني الإستروجين (Estrogen) والتستوستيرون (Testosterone)، اللذان يملكان دورا مهما في تحفيز عملية النمو خلال مرحلة البلوغ.

- **هرمونات الغدة الدرقية:** إذ تفرز الغدة الدرقية هرمونات تنظم عملية النمو، وتحفز إنتاج الحمض النووي الوراثي وتكاثر الخلايا.

ه- **طبيعة النظام الغذائي:** تؤثر التغذية على نمو الأطفال منذ أن يكونوا أجنة في بطون أمهاتهم، ففي هذه المرحلة يلعب النظام الغذائي للأُم دورا رئيسيا في تطور الجنين، وفي حال عدم حصولها مثلا على 400 ميكروجراما من حمض الفوليك يوميا قبل الحمل وخلال الأشهر الأولى من الحمل؛ قد يصاب الطفل

بعيوب خلقية معينة في الدماغ والعمود الفقري. أما بعد ولادة الطفل، فقد يسبب له سوء التغذية أمراضاً تؤثر سلباً على نموه وتطوره، وفي المقابل، قد يؤدي الإفراط في تناول الطعام إلى إصابة الطفل بالسمنة والمشكلات الصحية المرتبطة بها؛ لذا يوصى بضرورة تناول الطفل لغذاء يساعده على النمو (أي غذاء صحي متوازن وغني بجميع العناصر الضرورية للنمو).

و- الوضع الصحي للشخص: قد يتأخر نمو الإنسان إذا أصيب بمرض مزمن ما كالسكري أو التهاب المفاصل أو الربو؛ فقد يؤثر هذا النوع من الأمراض على تطور المهارات الاجتماعية للطفل، خاصة إذا كان يعاني من ألم مستمر أو عجز جسدي يمنعه من التحرك والاندماج في البيئة كباقي الأطفال، وعلى صعيد آخر، قد يتعرض الأطفال للإصابة بالسرطان في صغرهم، وهذا ما قد يجعل نموهم بطيئاً، أو يؤخر البلوغ واكتمال الأعضاء لديهم. وقد يكون الأطفال المصابون بأمراض مزمنة أكثر عرضة للإصابة بالاكتهاب بنسبة 30% مقارنة بغيرهم، ويمكن للوالدين مساعدة طفلهم من خلال إدراكهم لاكتتابه والسيطرة على العوامل المسببة له، ودمجهم بأنشطة اجتماعية تشاركية مثل الرحلات، والمخيمات، والالتحاق بأندية الكتب.

ز- الحالة الاجتماعية والاقتصادية للشخص: تشير الحالة الاجتماعية والاقتصادية إلى ثلاثة جوانب، وقد يتأثر نمو الأطفال واكتسابهم المهارات المختلفة مثل القراءة بهذه الحالة، وفيما يأتي توضيح لهذه الجوانب وتأثيرها:

- **مستوى تعليم الوالدين:** فكلما ارتفع مستوى تعليم الوالدين ودخلهما؛ زادت قدرة الأطفال وقابليتهم لاكتساب المهارات والعكس صحيح. وبالنظر إلى الدور الكبير لهذا الأمر في التعليم؛ فإن الجو الأسري الذي يمتلئ بالعلم والقراءة والثقافة؛ فإنه يؤثر إيجابيا على سلوك الطفل، لأن الطفل يتبع عادات والديه.
 - **دخل الأسرة:** قد يؤدي الفقر وانخفاض مستوى الدعم الاجتماعي للأطفال إلى انخفاض معدل ذكائهم وتحصيلهم التعليمي؛ إذ لا تتمكن الأسر ذات الدخل المنخفض من توفير السلع المعيشية الضرورية والغذاء الصحي المناسب للأطفال؛ مما قد يؤثر سلبا في نموهم وتطور مهاراتهم.
 - **المكانة المهنية للوالدين:** قد ترتبط المكانة الوظيفية المنخفضة عموما بالعمل البدني الشاق وساعات العمل الطويلة والأجور المنخفضة؛ مما قد يجبر هؤلاء الآباء على إهدار جميع وقتهم وطاقاتهم في العمل، وقد لا يتمكنون من دعم أبنائهم بما يكفي.
- وخلاصة القول في ذلك، إن هناك مجموعة من العوامل تلعب دورا مهما في نمو الإنسان، بما في ذلك الصفات الموروثة من الوالدين، والظروف البيئية التي يعيش فيها الفرد، وحالته الصحية، ونظامه الغذائي، وهرمونات النمو، كما يختلف النمو بين الجنسين سواء في الصفات الشكلية أو الصفات

الشخصية، وتلعب الحالة الاجتماعية والاقتصادية دورا كبيرا في النمو واكتساب الطفل للمهارات المختلفة.

5- حاجات الطفولة

الحاجة مظهر من مظاهر الافتقار للشيء؛ فالحاجة في اللغة من الفعل احتاج أي افتقر ونقص عليه أمر ما، وفي الاصطلاح الحاجة هي الشعور بالفقد والنقص والحرمان من شيء ما عاطفيا أو معنويا أو ماديا أو اجتماعيا، ويسعى الإنسان بكافة الطرق المشروعة وأحيانا غير المشروعة لتلبية حاجاته التي يفترق إليها من وجهة نظره، والإنسان كلما زاد مستواه الاجتماعي والتعليمي والثقافي زادت حاجاته حتى تصبح بعض الكماليات من ضمن الحاجات الأساسية له. فالفقير على سبيل المثال هو في حاجة ماسة للمال والغنى، والمريض في حاجة ماسة للعلاج والشفاء، واليتيم في حاجة للشعور بالحنان والعطف والتعويض عن فقد الأبوين، وهكذا.

وقد اجتمعت معظم التعاريف العلمية للحاجة على أنها تتمحور حول معنى عام وهو أن الحاجة هي كل ما يحتاجه المرء ليحافظ على حياته، وليشبع رغباته المتعددة، وإتاحة كل ما هو مفيد له حتى يتطور وينمو، وندرج فيما يلي بعض التعاريف العلمية الصادرة عن بعض المختصين:

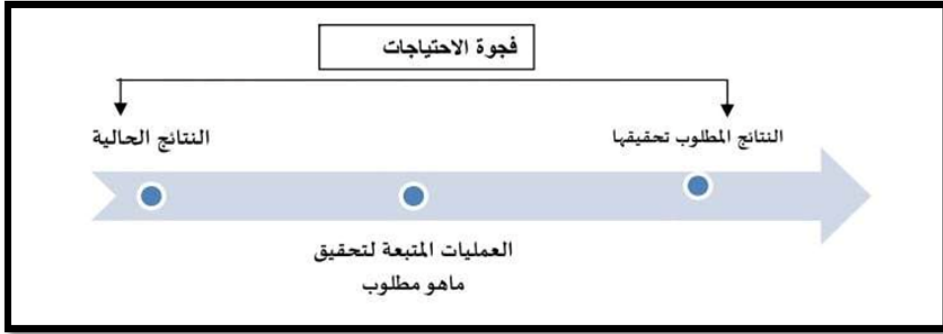
أ- تعريف مان ميشيل: هي حالة أو حادثة تضع الفرد في موقف صعب، أو محنة تجعله يشعر بالعوز والرغبة الملحة لأمر تعد من الضروريات، وعادة ما

يستخدم هذا المصطلح في السياسات الاجتماعية للتعبير عن احتياجات الفرد للخدمات الاجتماعية.

ب- تعريف الدكتور ماهر أبو المعاطي: عرف أبو المعاطي الحاجة على أنها كل ما يفتقر إليه الفرد، إضافة إلى كل مشاعر النقص سواء أكانت افتقار جسدي، أو نفسي، أو اجتماعي، وإن لم تتلقى هذه الحاجة إشباعاً؛ ستثير حالة من التوتر والقلق والضيق، لذلك من الضروري تواجد قوى دافعة تحفز عملية الإشباع.

ج- تعريف روبرت باركر: وقد عرف الحاجة في قاموس الخدمة الاجتماعية على أنها مطالب اجتماعية، واقتصادية، ومادية، ونفسية، يحتاجها المرء ليبقى في حالة من الإنجاز والرفاهية.

د- تعريف أحمد زكي بدوي: عرف البدوي الحاجة على أنها كل ما يحتاجه الإنسان لسد كل الرغبات الضرورية، وإتاحة العوامل الهامة لنموه وتطوره. ومن المنظور السوسولوجي، طرح Kaufman مفهوم "فجوة الاحتياجات"، حيث يرى أن الحاجة هي الفرق الحاصل بين ما تم تحقيقه في الوقت الحالي وما هو مطلوب تحقيقه، أي الفجوة بين النتائج الحالية والنتائج المرغوب الوصول إليها، وإذا لم تتواجد هذه الفجوة بين النتائج فهذا يدل على عدم وجود أي حاجة. والشكل الآتي يوضح تلك الفجوة.



ويختلف مفهوم الحاجات الأساسية عن مفهوم حاجات الكفاف، فهذا الأخير يكاد يكون مفهوماً بيولوجياً خالصاً لا يتجاوز المحافظة على حياة الإنسان بتوفير القدر الأدنى من السلع والخدمات اللازمة للبقاء. أما مفهوم الحاجات الأساسية، فالمفروض فيه أن يكون مفهوماً متحركاً يتطور مع تطور المجتمع، بحيث يزيد مع الزمن القدر اللازم للإنسان من السلع والخدمات، سواء من حيث الكم أو الكيف. ومما سبق يتضح أن الاحتياجات الأساسية هي: كل ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه من أجل الحياة والبقاء، وكل ما هو ضروري من أجل نمو الإنسان وتطوره: بيولوجياً، ونفسياً، واجتماعياً.

إذن الحاجة هي شعور بالحرمان يلح على الفرد مما يدفعه للقيام بما يساعده للقضاء على هذا الشعور لإشباع حاجته. وهناك العديد من الحاجات الواجب إشباعها ليتمكن الطفل من النمو والتطور بصورة صحية وسليمة، وهذه الحاجات هي ما يلي:

أ- **الحاجات الفسيولوجية:** تمثل الحاجات الفسيولوجية كافة المتطلبات التي يكفل إشباعها بقاء الطفل على قيد الحياة كالطعام والشراب والنوم.

- ب- **الحاجة للأمان**: هو حاجة الطفل للشعور بالطمأنينة بعيدا عن أي شكل من أشكال التهديد.
- ج- **الحاجة للانتماء**: تعزى هذه الحاجة لكون الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فينتمي الطفل إلى عائلته، ثم ما تلبث هذه الحاجة لتتسع مع تقدمه بالسن لتشمل المجتمع الذي يعيش فيه ووطنه.
- د- **الحاجة للتقدير**: تمثل الحاجة للتقدير المحرك لكافة أنشطة وانجازات الطفل.
- هـ- **الحاجة للمعرفة**: يعتبر إشباع الحاجة للمعرفة ركيزة لإشباع الحاجة للانتماء والحاجة للتقدير والأمان، فإذا ما فشل الطفل في تحقيق مستوى معرفي وإدراكي جيد فسواجبه صعوبة في التعامل مع البيئة المحيطة به.
- و- **الحاجة لتحقيق الذات**: لا يظهر اكتمال تلبية هذه الحاجة إلا في مراحل عمرية متقدمة، ولكن يستطيع الطفل إشباع هذه الحاجة بتأدية دوره الاجتماعي والإنساني في أي عمل يقوم به كالدراسة.
- ويواجه الأطفال العديد من التحديات والمشاكل كنتيجة لنقص في إشباع حاجاتهم، ويمكن تلخيص بعض هذه المشاكل بالشكل الآتي:
- أ- **الكذب**: يكذب الطفل عادة لتجنب العقاب على تصرفات خاطئة قام به، أو للحصول على فائدة معينة كالحاجات المادية أو المديح.
- ب- **العزلة والانطوائية**: تعتبر العلاقات الأسرية المسئول الأول عن هذه المشكلة فكلما ساد التفهم والانفتاح في المنزل، انعكس ذلك على علاقات الطفل الاجتماعية مع أهله وأقرانه.

ج- التأتأة: لا يستطيع الطفل الذي يعاني من التأتأة التلغظ بالكلمات بشكل صحيح، وتعزى أسبابها إلى عوامل نفسية واجتماعية كالخلافات العائلية والمعاملة السيئة.

د- التبول اللاإرادي: يحدث التبول اللاإرادي المتقطع لفترات طويلة كرد فعل على مستجدات يعيشها الطفل كالتوتر أو المرض.

وقد نصت اتفاقية حقوق الطفل على مجموعة من الحقوق التي تضمن اشباع احتياجاته، ومن هذه الحقوق ما يلي:

أ- حق الطفل في التعبير عن رأيه وضرورة احترام هذا الرأي.

ب- الحقوق التي تكفل حماية هوية الطفل كالحق في الاسم والجنسية.

ج- حق الطفل ذي الاحتياجات الخاصة في الحصول على الرعاية والدعم الصحي اللازمين.

د- الحق في الحصول على التعليم والترفيه.

هـ- الحق في العيش بجو عائلي يضمن تحقيق الرعاية الأمثل له.

و- حق الطفل بالحماية من التهديدات التي تعرض حياته للخطر.

وفي هذا الإطار، يؤكد علماء النفس أن الأسرة تكاد تكون الأداة الوحيدة التي

تعمل على تشكيل الطفل إبان حياته الأولى، فقد أثبتت الدراسات (مثل: دراسة

Jane Frances L. Van Voorhis وآخرون عام 2013، ودراسة

Anderson عام 2014، ودراسة Juho Harkonen وآخرون عام 2017،

ودراسة Kersi Chavda & Vinyas Nisarga عام 2023) أن الطفل يكون

بحاجة إلى أن ينمو في كنف أسرة مستقرة. كما أثبتت حاجته إلى إخوة ينمون معه ويشاركونه حياته الأسرية، فالأم تحتضن الطفل في مرحلة المهد، ومنها يستمد شعوره بالأمن ... وعن طريق الأب يمكن للطفل أن يشبع الكثير من حاجاته ورغباته، وأن ينال منه أيضا العطف والتقدير والمحبة.

ويختلف الأطفال عن بعضهم البعض؛ إذ يكون لكل طفل شخصيته الفريدة والمميزة، وعلى الرغم من اختلاف الأطفال إلا أن لغالبية الأطفال احتياجات متشابهة لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الظروف، ويجب على الآباء والأمهات فهم هذه الاحتياجات والحرص على توفيرها. إن تلبية الاحتياجات الأساسية للأطفال يساعدهم في أن يكونوا أشخاصا أصحاء وناجحين في المستقبل.

ويجب على الأهل التفريق بين الحاجات والرغبات، فبينما تعرف حاجات الطفل بأنها أمور مهمة لا يمكن للطفل الاستغناء عنها ولا تستمر الحياة إلا بها. فإن الرغبات هي أمور يرغب الطفل بامتلاكها أو فعلها، إلا أن جودة حياته لا تتأثر بشكل جذري في حال عدم توفرها، مثل الرغبة بشراء الألعاب، أو الرغبة باقتناء هاتف أو جهاز لوحي، أو رغبة الطفل بمشاهدة التلفاز مثلا. ويجب إدراك هذا الفرق من قبل الأبوين، والعمل على تحقيق توازن بين الأمرين، ومن أبرز احتياجات الأطفال الأساسية الحاجة للأمان، والاستقرار، وثبات المبادئ، والحاجة للدعم العاطفي، والحب، وتلقي تعليم جيد، وغيرها من الحاجات التي لا تستقيم حياة الطفل إلا بها.

6- تعريف التواصل مع الأطفال وأهميته

يمكن تعريف التواصل مع الأطفال على أنه مجموعة المهارات التي يستخدمها الوالدان والمعلمون وجميع من يتعامل مع الطفل في سبيل تقديم واستقبال المعلومات والكلمات والمشاعر والاستجابات من الطفل، ويمكن لهذه المهارات أن تكون لفظية أو غير لفظية، وتحقيق الغاية في إنشاء وتطوير خط تواصل فعال بين المربي والطفل. وتشمل مهارات التواصل مع الأطفال الاستماع والتحدث والتعاطف والملاحظة والاحتواء وفهم التعبيرات غير اللفظية وتقديمها أيضاً، ولابد من الإشارة إلى كون التواصل مع الأطفال حاجة ضرورية لهم، تولد معهم بشكل فطري وتحتاج إلى أن تلبى منذ اللحظة الأولى لولادة الطفل.

فبشكل عام يمكن القول إن التواصل مع الأطفال يبدأ من اللحظة الأولى التي يولدون فيها ويستمر على مدار فترة الطفولة المبكرة والمتأخرة وحتى فترة المراهقة وما بعدها. ويتطلب التواصل مع الأطفال الحرص على التعامل معهم بشكل مهذب وودود ومفهوم ومثير للاهتمام والاستماع لهم وتشجيعهم على التحدث والتفاعل والتعبير عن أنفسهم بحرية. إن التواصل مع الأطفال يعتبر أمراً مهماً للغاية، حيث يؤثر بشكل كبير على نموهم النفسي والعاطفي والاجتماعي. ومن الجوانب الأساسية لأهمية التواصل مع الأطفال ما يلي:

أ- تعزيز الثقة بالنفس: يساعد التواصل المستمر مع الأطفال على بناء شعور الثقة بالنفس لديهم، وذلك عن طريق الاستماع لهم وتشجيعهم على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم.

ب- **تطوير مهارات اللغة:** يعمل التواصل المستمر مع الأطفال على تحفيز تعلم اللغة وتطوير مهارات اللغة الناطقة بها الطفل، وهذا يؤدي إلى تحسين قدراتهم في التواصل مع الآخرين.

ج- **تنمية العلاقات الاجتماعية:** يعمل التواصل مع الأطفال على تعزيز العلاقات الاجتماعية بينهم وبين الآخرين، حيث يتعلمون كيفية التفاعل والتعامل مع الآخرين بشكل صحيح.

د- **تعزيز الذكاء العاطفي:** يعتبر التواصل مع الأطفال واحدا من أهم عوامل تعزيز الذكاء العاطفي لديهم، حيث يساعد على تعلم الشعور بالتفهم والتعاطف مع الآخرين.

هـ- **الوقاية من السلوكيات الخاطئة:** يمكن للتواصل المستمر مع الأطفال أن يساعد على الوقاية من السلوكيات الخاطئة التي قد يميل الأطفال إليها، حيث يتعرفون على القيم والمبادئ الصحيحة من خلال التفاعل مع الآخرين.

ومن هنا وجب التركيز في مرحلة الطفولة على عوامل تنمية مهارات الطفل الاجتماعية؛ لأن من شأن ذلك أن يساعده في بناء العلاقات الاجتماعية وتنمية مهارات اللغة لديه والتي ستعكس حتما بشكل إيجابي عليه في المواقف الاجتماعية اليومية وفي مراحل الدراسة المختلفة من الابتدائية وحتى المرحلة الأكاديمية، ولعل من أهم التقنيات التي يجب التركيز على تنميتها ما يلي:

- أ- مهارات ما قبل اللغة: الطرق التي يتواصل بها الطفل مع الأهل والمحيط عن طريق الإشارة والإيماءات وتعايير الوجه واستخدام بعض الأصوات والتقليد والتواصل البصري دون أن يستخدم كلمات ذات معنى مباشر.
- ب- الاستيعاب اللغوي: مدى قدرة الطفل على استيعاب كلام الأشخاص في محيطه وقدرته على تفسيره وفهمه.
- ج- التعبير بواسطة اللغة: استخدام اللغة وتسمية الأشياء والقدرة على التعبير عما يريد به الطفل بواسطة الكلام.
- د- الأداء الاجتماعي: قدرة الطفل على التفكير ومعالجة المعلومات والتحكم بالمشاعر والسلوك وتوجيهه بطريقة مجيدة في وسطه الاجتماعي.
- وإجمالاً، فإن من صفات المربي الناجح أنه يجيد مهارة التواصل الإيجابي مع أبنائه على المستوى الفكري بالحوار وعلى المستوى العاطفي بالحب وعلى المستوى السلوكي باللعب والقصة، فالمربي الناجح في الواقع هو من يجيد مهارة الانصات الجيد لأبنائه وكيفية إدارة الحوار معهم لحل مشكلاتهم وإشباع حاجاتهم على قدر الإمكان، ومن صفات المربي الناجح أن يألف ويؤلف، يألف الصغار ولا يألف الجلوس معهم، ويعاملهم بقدر عقولهم، والمربي الناجح أيضاً هو من يعرف حاجات أبنائه ويشبعها بشكل متزن، وأخيراً وليس آخراً فالمربي الناجح يعرف كيف يوصل أفكاره ومشاعره لأبنائه، ويجيد استقبال أفكارهم وفهمها والتفاعل معها تفاعلاً جيداً.

7- أنواع التواصل مع الطفل

تختلف أنواع التواصل مع الطفل باختلاف مرحلته العمرية وعوامل أخرى، ففي الأيام الأولى من حياة الطفل يكون نوع التواصل الممكن معه هو التواصل البصري والتواصل باللمس والإيماء والتواصل الصوتي، وقد يستغرب بعض الأشخاص قدرة الرضيع على استيعاب التواصل الصوتي، لكننا نؤكد على فاعليته، فالطفل يدرك أصوات والديه حتى قبل الولادة. ومع تقدم الطفل في العمر تتطور مهارات التواصل لديه ويستطيع إدراج أنواع تواصل أخرى ضمن قائمة أدواته، وعندما يصل إلى سن الخامسة نجده قد اكتسب مخزوناً ضخماً من أنواع التواصل وأدواته وأساليبه التي تحقق له فطرته الإنسانية في التفاعل والاندماج.

وبالعودة إلى أنواع التواصل مع الطفل نذكر ما يأتي:

أ- **التواصل باللمس**: يعد التواصل باللمس أحد أهم أنواع التواصل مع الأطفال، والتي يستطيع الطفل أن يدركها منذ لحظاته الأولى، ويتطور شعور الطفل باللمس في أثناء وجوده في الرحم، ويستطيع إدراكه فور ولادته، وتستمر حاجته إليه في فترات الطفولة والمراهقة وحتى ما بعدهما. إن التواصل مع الأطفال عن طريق اللمس يساهم في تعزيز علاقتهم مع والديهم ومربيهم، وتطوير بقية أساليب التواصل اللفظي وغير اللفظي، ويشير الاختصاصيون إلى الدور الهام الذي يؤديه التواصل باللمس مع الأطفال في نموهم العقلي والمعرفي وصحتهم النفسية.

ب- التواصل البصري: إن التواصل البصري يعد نوعا فعالا من أنواع التواصل مع الأطفال، يبدأ الأطفال بإدراكه في عمر الثلاثة أشهر تقريبا، ويتطور خلال السنة الأولى من حياتهم حتى يصبح أسلوبا فعالا مساهما في نقل واستقبال الرسائل والمشاعر. وللتواصل البصري مع الأطفال دور هام في تعزيز أساليب التواصل الأخرى، وتنمية المهارات الاجتماعية لديهم؛ لذا إن انعدم مهارات التواصل البصري عند الطفل يعد مؤشرا خطيرا ودلالة على وجود مشكلة يجب تشخيصها وعلاجها، والتي يعد التوحد واحدا منها. ويؤكد الاختصاصيون التربويون على أهمية التواصل البصري في الحوار مع الأطفال ونقاشهم؛ لذلك ينصحون المربين بالنزول إلى مستوى الطفل في أثناء الحوار ليحدث تواصل بصري متين بينهما، يساهم بشكل فعال في نقل الرسائل بينهما بدقة ووضوح، إضافة إلى ملاحظة مشاعرهم وتلبية احتياجاتهم العاطفية.

ج- التواصل بالحركات والتعبير: يندرج هذا النوع من أنواع التواصل مع الأطفال ضمن الأساليب غير اللفظية في التواصل، ويشتمل على تعبير الوجه كالضحك والعبوس ودلالة كل منها وغيرها من حركات اليدين وباقي أجزاء الجسم، مرفقة بمعنى كل حركة منها، ويحتفظ الطفل بهذا المخزون من التواصل غير اللفظي طيلة حياته، ويبرز دوره في تعليمه مهارات التكيف وتحقيق أهداف الاتصال.

د- التواصل اللفظي: هو أكثر أنواع التواصل مع الأطفال استخداما، تتم فيه الاستعانة باللغة والكلمات من أجل إتمام عملية التواصل، وتظهر معالم الكلام

الأولى عند الأطفال عبر المناغاة في عمر الستة أشهر، وأما الحاجة إلى التواصل اللفظي فحسب آراء المتخصصين تخلق منذ الولادة وتزايد بتقدم الطفل في العمر، وتتعزز باكتساب الطفل القدرة على الكلام ويصبح حينها طرفا فعالا في عملية التواصل. ومن الضروري التركيز على نبرة الصوت في التواصل مع الطفل، فالطفل الذي يحدثه أبواه بالصراخ سيصبح الصراخ أسلوبه في الكلام، والأمر سيان بالنسبة إلى الهدوء. وعلى الرغم من أهمية التواصل اللفظي في التعامل مع الأطفال، إلا أن فاعليته تزداد عبر إقرانه بأساليب أخرى من أنواع التواصل، وكلما ازدادت أنواع التواصل مع الأطفال المستخدمة معا، كان التواصل فعالا ومثمرا.

هـ - **التواصل العاطفي:** يعد هذا النوع من التواصل مع الأطفال محصلة أنواع التواصل الأخرى ونتيجة اجتماعها، وفي هذا النوع يتم نقل المشاعر بين الطفل ووالديه عبر التعاطف والتفاعل العاطفي في المواقف الحياتية، ومثل أنواع التواصل الأخرى مع الأطفال يبدأ الطفل بإدراك هذا النوع منذ طفولته المبكرة ويتطور إدراكهم بتقدمه العمري، وفي سن السادسة تزداد حاجة الطفل إلى الشعور بالحب والأمان، وشرح الهواجس والأفكار، وتلقي المساعدة العاطفية اللازمة في إعانته على تقويم سلوكه وتأهيله لمرحلة التعلم المدرسي وتنمية مشاعره الإيجابية.

وفي هذا الصدد، نوصى بأنه يجب على الوالدين مراعاة التواصل الدائم مع الطفل بعمر السنة من خلال التحدث معه وطرح الأسئلة عليه بشكل مستمر

للمساهمة في تطوير مهاراته، فمثلا يمكن مساعدته على بناء روابط بين شكل الأشياء وأسمائها من خلال تسمية الأشياء من حوله، فكلما زادت هذه الروابط زادت المفردات التي يستخدمها الطفل وتطورت سرعة تذكره لها، وبالإضافة إلى ذلك فإن تقديم الخيارات للطفل يساعد على تعزيز معرفته بالكلمات، وفيما يلي بعض الأساليب لتعليم الطفل بعض المفردات:

- عد الدرجات أثناء صعود الدرج مع الطفل.
- الإشارة الى الفواكه والخضراوات مع ذكر أسمائها وألوانها عند التواجد في المتجر مع الطفل.
- قراءة الكتب والقصص للطفل، والإشارة إلى الأشياء الموجودة فيها مع ذكر أسمائها.
- تقديم الخيارات للطفل في بعض الأحيان، كسؤاله إذا ما كان يريد ارتداء الجوارب الزرقاء أم الحمراء.

وبفطرتهم، يسعى أطفالنا حديثي الولادة للتواصل مع الآخرين ليعبروا عن احتياجاتهم. والحب والرعاية اللذان يتلقونهما خلال تلك المرحلة من حياتهم كبير الأثر على نموهم المستقبلي. ويعد هذا دليل على أهمية أن يلتفت الوالدان إلى إشارات طفلهم غير اللفظية وأن يستوعبا تلك الإشارات. فعلى مدار مراحل نمو الأطفال، نراهم وهم يتواصلون مع من حولهم بصورة غير لفظية وبطرق مختلفة. فعلى سبيل المثال، قد يشير تشاؤبهم إلى شعورهم بالتعب، وقد تدل أعينهم المنتبهة وحركات أفواههم على سعادتهم ورغبتهم في التواصل مع من حولهم،

بينما قد يدل لمسهم الأشياء وإبعادها عنهم على حالة الرفض. إلا أنه يلزم الوالدين أن يدركوا أن لكل طفل لغته الخاصة به؛ فقد تدل راحة اليد - على سبيل المثال - على حالة الطمأنينة لدى أحد الأطفال بينما قد يلجأ إليها آخر ليعبر عن حالة ضغط نفسي يتعرض لها. لذا فإن فهمنا لتلك الفروقات الفردية الدقيقة يتعين معه ضرورة معرفتنا بالإشارات المميزة التي يصدرها الأطفال.

ويعد التمكن من تفسير لغة جسد الآخرين أمراً أساسياً لفهم الإشارات الاجتماعية كأن يدرك الشخص مثلاً الوقت المناسب لمقاطعة من يتحدث إليه أو أن يدرك أن من يحادثه يمازحه أو أن يتمكن من تقييم جدارة من أمامه بثقته. لذا فإنه يمكن لافتقار الطفل - قبل أن يتمكن من الكلام - إلى مهارات التواصل غير اللفظي أن يؤدي إلى تعرضه لصعوبات سلوكية في المستقبل. وعلاوة على ذلك، فإن التواصل غير اللفظي للطفل يلعب دوراً محورياً في تطور مهاراته اللغوية حيث يمكن لوالديه أن يفسرا تعبيراته وحركاته، مما يسهل مسألة إمام الطفل بمهارات التواصل المبكرة، كما أنه يساهم في تعزيز التنظيم العاطفي حيث يمكن للوالدين توفير سبل الراحة والدعم لطفلها الذي يقلق. وبفهمهم للغة التواصل غير اللفظية التي يستخدمها طفلها، فإنه يمكن للوالدين أيضاً توفير رعاية ذات طابع فردي تلبي وبشكل فعال احتياجاته الخاصة.

8- مهارات التواصل مع الأطفال

يعد استخدام مهارات التواصل مع الأطفال السبيل الأمثل لمعرفة الطرائق الصحيحة في التعامل معهم وإرسال واستقبال الرسائل المعرفية والشعورية منهم

والبيهم، إضافة إلى كونه الأسلوب القادر على فهم احتياجاتهم العاطفية. ومن أهم مهارات التواصل مع الأطفال والتي يجدر استخدامها من قبل الوالدين والمربين والمعلمين وكل من لهم تماس مباشر مع الأطفال نذكر ما يأتي:

أ- التواصل المتكامل مع الأطفال

أم المهارات في التواصل مع الأطفال هي مهارة التواصل المتكامل، حيث يجب على الأهل استخدام أنماط التواصل المختلفة في الوقت نفسه لتحفيز الطفل على التواصل والتعبير عن نفسه. وجدير بالقول إنه يتم توظيف هذه الأنماط في عملية التواصل من خلال الاتصال باللمس والبصر، الانحناء إلى مستوى طول الطفل، إظهار الاهتمام الكامل بما يقوله، إظهار تعابير مناسبة للوجه والتحدث بنبرة صوت مناسبة للموقف.

ومعنى ذلك أنه من الضروري إذن النزول إلى مستوى الطفل لحدوث تواصل بصري معه، وإمساكه بيده أو ضمه قبل أو في أثناء الحوار، واستخدام عبارات الاحتواء العاطفي والتقبل لمشاعره، إضافة إلى استخدام الكلمات المناسبة للموقف والتي من شأنها أن توضحه وتفسره للطفل، مرفقة بنبرة صوت وتعابير وجه ولغة جسد معبرة، كما يجب الاستماع لما يقوله الطفل دون مقاطعة ومحاولة تفهم مشاعره مهما كان نوعها، ومن ثم التأكيد على مشاعر الحب والأمان التي تربطنا به ونكنها له.

ب- مهارة الاستماع أثناء التواصل مع الطفل

حيث إن من أبرز رغبات الطفل أنه يحب أن يكون مسموعاً وأن يشعر أن كلامه مهم بالنسبة لوالديه، حيث إنه من المعروف أن غالبية الأطفال من سن 3 إلى 7 سنوات يميلون إلى الثثرة والرغبة في الكلام الكثير. ومن واجب الوالدين هنا هو حسن الاستماع لما يقوله الطفل وأن يتجنبوا تجاهله وتهميشه، وأن يمتلكوا مهارة إنهاء الكلام أو تأجيله بطريقة مناسبة بحيث لا يشعر الطفل بأنه تم تركه أو قطعه في حديثه.

ويجدر بالذكر أن الطفل الذي يتعرض للمقاطعة في أثناء حديثه بشكل مستمر لن يستطيع التعبير بوضوح عما يدور في رأسه؛ لذلك أن مهارة الاستماع الفعال والتي تعني الإنصات إليه مع إظهار الاهتمام والتفاعل مع ما يقول، تعد أسلوباً ناجحاً في دفعه نحو الاسترسال في التعبير، وهذا يشجعه على قول ما قد يكون متردداً في قوله.

ج- استخدام التعبيرات غير اللفظية ولغة الجسد

تشمل مهارات التواصل غير اللفظي مع الطفل نبذة الصوت وتعابير الوجه وحركة الجسد بشكل رئيسي، حيث إن الأطفال يتفاعلون مع الحركات والتعابير الجسدية أكثر من تفاعلهم مع الكلمات نفسها. حيث إنه في حال وجود تناقض بينهما فإن الطفل سيميل إلى التقاط الرسالة غير اللفظية. لذا يجب أن يحرص الأهل على تطابق الرسائل اللفظية مع التعبيرات غير اللفظية. فعلى سبيل المثال إذا كنت تريد أن تظهر الاهتمام لن يكون قول "أنا أسمعك" كاف؛ بل يجب أن

تستدير إلى الطفل وتنزل إلى مستواه وتتنظر في عينيه وتضع يدك على كتفه، وتقول له بنبرة مناسبة "أسمعك طبعاً".

إن الطفل يستطيع استشعار حبك له عن طريق العناق ولغة العيون أكثر من قولك له: "أحبك كثيراً" وأنت تعبت بهاتفك المحمول، كما أنه يستشعر اهتمامك بما يقول إذا ما تركت جانبا ما تقوم به والنقت إليه مصغياً أكثر من قولك فقط: "أنا أسمعك أخبرني" وأنت تدير ظهرك له وتتهمك في إصلاح سيارتك على سبيل المثال.

د- فهم مشاعر الطفل والتواصل بالتحاطف

تدريب الأطفال على البوح والتعبير عن مشاعرهم يبدأ من خلال فهم هذه المشاعر، وإيصال رسالة للطفل أن مشاعره مهما كانت محل تقدير واهتمام من الأهل، وعادة ما تبدأ أزمة التواصل العاطفي بين الأهل والأطفال في السنة الثانية من العمر، حيث تبدأ محاولة الأهل لتعديل بعض سلوكيات الطفل وتدريبه على النوم والنظافة وغير ذلك، وقد يهمل الأهل في هذه المرحلة مشاعر الطفل تجاه التحولات الكبيرة في حياته، ويتركون الأمور تسير على هواها بالإهمال والتجاهل.

إن هذه المهارة تتضمن تفهم مشاعر الطفل، ومساعدته على إظهارها والتعبير عنها بدلا من كتمها، فإذا ما جاءك الطفل يوما يعبر عن شعور ما، إياك واستخافه أو قمعه، بل على النقيض من ذلك يجب أن تظهر له احتراماً لمشاعره وتقديراً لها وتوضيح مشروعيتها وأهميتها.

ومثال ذلك: جاء طفلك يشكو أن صديقه كسر لعبته بغير قصد، في مثل هذه الحالة يجب أن تتعاطف معه وتظهر وقوفك بجانبه بدلا من توبيخه على السماح لصديقه بكسرها مثلا، ومن ثم قول: "أعرف كم تحب هذه اللعبة، وأعرف أنك حزين على خسارتها، معك حق"، والطبوبة عليه والتربيت على كتفه.

هـ - التعبير عن الخطأ والصواب

يعتبر الإرشاد والتهديب أحد أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الوالدين؛ وللتهديب طرق مختلفة تجعل الطفل يتعلم التحكم في ذاته، لينسجم مع مجتمعه، ومنها ما يأتي:

- **الشدة والحزم:** وهي تهديد الطفل باللجوء إلى العقاب البدني، وهي طريقة غير موصى بها، لأنها تجعل أفعال الطفل مقترنة بالخوف، وليست نتيجة رغبة واقتناع.
 - **التهديد بعدم الحب:** غالبا ما يؤدي اتباع هذه الطريقة إلى مشاكل نفسية عند الطفل.
 - **المنافسة:** بالاعتماد على الشرح وتوضيح الأسباب والمبررات.
- إن أكثر ما يؤثر على الاطفال؛ لاكتسابهم الأخلاق الحسنة هي مشاهدتهم لأبائهم يطبقونها في حياتهم اليومية، فلماذا يجب أن يحرص الآباء على إظهار الأخلاق الحسنة في عملهم وحياتهم اليومية وتعاملهم مع أطفالهم، ومحاولة لفت انتباه الطفل إليها.

ويجب بداية تحديد الأخلاق التي يراد تعليمهم إياها، فهناك أخلاق متفق عليها عالميا كتجنب الكذب والغش والسرقة والتحلي بالأمانة والصدق، وهناك أخلاق متعلقة بالمعتقد الديني وأخرى متعلقة بالعادات العائلية. فيجب التفكير في هذه الأخلاق وتحديد الأولوية للأخلاق الرئيسية؛ كالصدق والأمانة والتعاطف والاحترام وتعليمها للطفل منذ صغره، والانتقال تدريجيا للأخلاق الأكثر تعقيدا كلما كبر وزاد استيعابه، فبالأكيد لا يستطيع الطفل تعلم جميع الأخلاق دفعة واحدة.

ومن الجيد أن تبدأ رحلة تربية الطفل وتهذيبه في عمر العام والنصف، فهذا العمر يحمل الأطفال طاقة وافرة وحيوية كبيرة، وينمو لديهم الفضول في التعرف على الأشياء المختلفة من حولهم، فهم بحاجة لتوجيه بسيط من الأهل والأم خاصة لتعليمهم السلوك وتجنبيهم الأخطاء التي قد يقعون فيها.

و- التواصل عن طريق القصص والحكايات

إن للقصص والحكايات مفعولا سحريا في التواصل مع الأطفال، فالتجربة العاطفية التي يعيشها الطفل عندما يروي له أحد الوالدين قصة لها أثرا كبيرا في نفسه وتفتح له أبوابا للحوار والتفاعل مع الأحداث. إضافة إلى تأثيره بمعنى القصة والقيم المستفادة منها.

فضلا عن كون قراءة القصص للطفل من النشاطات الممتعة والتي تطور لديه مهارات الاستماع، فهي أيضا نشاط فعال مدرج ضمن مهارات التواصل مع الأطفال. إن أسلوب القصص والتشويق والرواية يوصل للطفل معلومات كثيرة،

ويفتح أمامه آفاقا واسعة من المعارف، ويثير لديه عواصف من التساؤلات التي لن يتوانى لحظة عن طرحها وتلقي الإجابات عنها، وهذا ما يعزز خبراته العاطفية ويطورها.

ز - التواصل عن طريق اللعب

إن اللعب بالنسبة للأطفال ليس مجرد وسيلة للترفيه والتسلية، إنما يعتبر أفضل وسيلة للتعلم والإدراك، حيث إن مشاركة الطفل في الألعاب المختلفة يعتبر من الفرص الذهبية لتحقيق ذروة التواصل الفعال معه. فببساطة أن هذه المهارة تمكن من إنشاء جو من المرح بين الطفل والمربي، وهذا ما يعزز العلاقة بينهما ويرفع مستويات الثقة. وعن طريق اللعب أيضا يعبر الأطفال عن أفكارهم ومكنونات أنفسهم، فيلتقط المربي تصوراتهم عن الأمور الحياتية، ويعمل على تصحيحها أو تعزيزها.

وفيما يلي بعض الألعاب المرحية التي تخلق جو من الدعابة والتعلم في آن واحد لتنمية المهارات اللغوية لطفلك بسرعة:

- **لعبة الهاتف:** يمكن أن يكون هاتف اللعبة جزء نشطا من وقت لعب طفلك الصغير، فقط احصل على زوج من ألعاب الهواتف وتظاهر أنك تطلب رقمه للاتصال به، وشجعه على رفع الهاتف والرد عليك. ومن خلال هذا النشاط علمه كيف يقول "مرحبا" عندما يرد على الهاتف. فيمكن أن يساعد هذا النشاط بانتظام على تطوير آداب سلوك المتحدث بالهاتف، وتحسين وتنمية المهارات اللغوية لطفلك.

- **لعبة تسمية الأشياء:** أشر إلى أشياء مختلفة في منزلك واطلب من طفلك أن يسميها. كما يمكنك مساعدته في الأسماء حتى يبدأ في نطقها بنفسه، فتعد هذه طريقة سهلة لبناء وتحسين مفرداته. ويمكن ممارسة هذه اللعبة في أي مكان سواء في منزلك أو في الحديقة أو حتى في المتجر. فتعد هذه الطريقة فرصة رائعة لتنمية المهارات اللغوية لطفلك.
- **لعبة الجمل الكاملة:** اطرح على طفلك أسئلة بسيطة وشجعه على التحدث بجمل كاملة، فبالتأكيد سيعطيه هذا فكرة جيدة عن كيفية عمل بناء الجملة، ويساعده على بناء جمل قوية ومتناسكة. على سبيل المثال اسأل طفلك أشياء بسيطة مثل: "هل تريد برتقالة؟" وعلمه الرد بجملة كاملة. فحتمًا ستكون هذه الممارسة بمثابة أساس قوي للمستقبل، حيث سيتمكن من التعبير عن أفكاره بشكل أفضل بعبارة أوضح وجمل متناسقة.
- **لعبة القصص والحكايات بالدمى:** امنح طفلك ألعابا أو دمى وشجعه على إجراء محادثات معها، وربما بتكوين قصة. فالأطفال مبدعون حقًا، فبمجرد أن تبين لهم الطريق، سوف يتولون زمام الأمور وحينها ستكتشف مهارات ومواهب دفيئة رائعة لطفلك. ويمكنك أيضا استخدام الدمى لإجراء محادثات بسيطة مع طفلك. على سبيل المثال قم بعمل عرض للعرائس لجعل وقت اللعب أكثر متعة.

- **لعبة وصف الصور:** من خلال بعض القصص القصيرة أو صور ملونة يمكنك أن تجذب طفلك لوصف تلك الصور بعبارات وكلمات بسيطة. ويمكنك من خلالها تعليم طفلك مفردات جديدة وطرح تساؤلات تثري الحصيلة اللغوية له. فقط اطلب من طفلك أن ينظر إلى الصور ووصف عناصر الصورة بأشكالها وألوانها. فهذا النشاط حقا رائعاً، حيث يسلي الطفل كثيرا ويفيد في تنمية المهارات اللغوية لديه.
 - **لعبة العلاقات:** من أكثر الألعاب المسلية التي تكسب طفلك الكثير من المفردات وتعلمه العلاقات بين الأشياء، يمكنك استخدام البطاقات الملونة للتحديث عن العلاقات مثل: (أعلى/أسفل، يمين/يسار، خلف/أمام، وهكذا).
 - **لعبة تطابق الحروف الأبجدية:** ارسم الحروف الأبجدية على الورق المقوى وسلمها لطفلك. بعد ذلك، أعطه صوراً للأشياء واطلب منه التعرف عليها. ثم اطلب منه مطابقة الصورة بالحرف الأول للكائن أو الرسمة. بهذه الطريقة، سوف يستخدم الصوتيات لمطابقة الحروف مع الرسمة، وبالتالي بناء قدرته على التهجى وتعلم الحروف الأبجدية بشكل صحيح.
- وبصفتك أحد الوالدين، يمكنك حمل طفلك ومساعدته على إتقان مهارات التعامل مع الآخرين من خلال الممارسة المستمرة. انخرط في ألعاب التعلم وأنشطة الاتصال التي من شأنها أن تعلم طفلك أساسيات الاتصال بمتعة وسهولة. إذا

لاحظت أي مشاكل في النمو، فلا تتردد في استشارة أحد الخبراء. فمن المهم جدا في واقع الأمر أن ينتبه الآباء أو مقدمو الرعاية إلى مشاكل التواصل عند الأطفال، وأن يستشيروا الطبيب عند الاشتباه في مشكلة من هذا النوع. إذ تتوفر قوائم تنطوي على علامات للمشاكل النمائية في التواصل، ويمكنها أن تساعد الآباء ومقدمي الرعاية على كشف المشاكل؛ فعلى سبيل المثال، إذا كان الأطفال لا يستطيعون لفظ كلمتين على الأقل عند حلول عيد ميلادهم الأول، قد يكون لديهم اضطراب في التواصل.

وخلاصة القول في ذلك، إنه من الأهمية منذ عمر مبكر يكون عليك التأكد من وجود اتصال مفتوح بينك وبين الطفل ليتواصل معك بسهولة ويعبر عن نفسه، لذا امنحه متسعا من الوقت ليقول ما يرغب فيه ولا تفرط في تصحيح كلامه وانتظر حتى ينتهي من كلامه دون أن تقاطعه حتى لا يصاب بالتلعثم. واحرص على أن يكون الحوار متبادلا بينكما، وأن يكون هناك اتصال بالعين وأظهر تقديرك لمشاركته. وجرب هذه الأفكار لتنمية القدرة على التواصل:

أ- شجع طفلك على التحدث حتى يتمكن من مشاركة مشاعره وأفكاره. اجعلهم يشعرون أن الاقتراب منك للتواصل أمر سهل.

ب- استمع لطفلك وافهمه واستجب له بطريقة حساسة. تعامل مع مشاعر الغضب والحرج والحزن والخوف بنفس القوة التي ستفعلها عندما يشاركوك شيئا جيدا معك.

ج- تجنب مقاطعة طفلك عندما يتواصل لأن هذا هو ما تتوقع أن يفعله طفلك عندما تتحدث. وبالتالي، لتعليمهم كيف يكونون مستمعين صبورين، يجب أن تكون مستمعا صبوراً.

د- لا تكن حكماً أبداً لأنه قد تكون هناك بعض المشكلات التي قد تبدو غير ذات أهمية بالنسبة لك، ولكن بالنسبة لطفلك، فقد تكون خطيرة.

هـ- توقف عن النقد المفرط ولا تحاول تصحيح جميع مشاكل الاتصال مرة واحدة.

و- ركز على لغة الجسد ونبرته. هذا أمر حاسم للمساعدة في فهم ما لا يقال. يمكن للأطفال أن يكونوا متكتمين بشأن قضاياهم، وخاصة تلك التي تخرجهم.

ز- قدم لهم الدعم المعنوي وتأكد من دعمك لهم. حاول المشاركة معهم في المشكلة ومساعدتهم على حلها عن طريق وضع الأمثلة الصحيحة.

ح- يمكن أن يساعدهم التفاعل مع الأطفال الآخرين في التغلب على قضايا التواصل الاجتماعي. فسوف يساعدهم ذلك على إدراك قيمة المحادثة المثمرة.

ومع ذلك، إذا كان الطفل يعاني من مشاكل اتصال مزمنة يبدو من الصعب إدارتها، فمن الحكمة استشارة خبير كما ذكرت سابقاً. وإذا كان الطفل لا يستطيع

التواصل بفعالية من خلال الكلام، فيمكن أن تكون طرق التواصل الأخرى مفيدة.

9- طرق التواصل مع الأطفال في الظروف الصعبة

يمكن أن تكون الظروف الصعبة مثل الحروب أو الأزمات الإنسانية أو الكوارث الطبيعية صعبة على الأطفال وتترك تأثيراً سلبياً على نفسياتهم وصحتهم العقلية.

ويمكن للتواصل الجيد مع الأطفال في هذه الظروف أن يساعد في تخفيف الضغط النفسي عنهم وتوفير بعض الراحة والأمان. وفيما يلي بعض الطرق للتواصل مع الأطفال في الظروف الصعبة:

أ- **الاستماع الفعال**: استمع بتركيز إلى ما يقولونه ولا تقاطعهم. اعرض لهم تفهمك لمشاعرهم ومشاكلهم.

ب- **التحدث بصراحة**: تحدث بلغة ملائمة لعمرهم وبشكل صريح عن ما يحدث وما يمكن فعله.

ج- **الاهتمام بالاحتياجات الأساسية**: تأكد من توفير الغذاء والماء والدواء والرعاية الصحية والإسكان الآمن للأطفال.

د- **استخدام الأنشطة التعليمية والترفيهية**: يمكن استخدام الأنشطة الإبداعية والترفيهية مثل الألعاب والمسابقات والرسم لمساعدة الأطفال على التعبير عن أنفسهم والتخفيف من التوتر.

هـ- **توفير بيئة آمنة**: يجب توفير بيئة آمنة للأطفال، حيث يشعرون بالراحة والأمان ويمكنهم التركيز على الأنشطة اليومية.

و- **الاعتناء بالصحة العقلية**: يجب الاهتمام بالصحة العقلية للأطفال وتوفير الدعم النفسي اللازم لهم في الظروف الصعبة.

ز- **التعاون مع الأهل**: يجب التواصل مع أولياء الأمور والتعاون معهم في توفير الدعم النفسي والمادي اللازم.

إن تقديم مثل هذا التواصل كفيل بإعطاء الطفل الإحساس بالأمان الذي يفتقده كثيرا خلال هذه الظروف، حيث يمتلك بعض الأطفال مخاوف وهموم كبيرة، لكنهم يجدون صعوبة في الكشف عن مشاعرهم أو أفكارهم وأسباب معاناتهم. إنهم يلتزمون الصمت بسبب الخجل، أو لأنهم لم يتعودوا التحدث عن أنفسهم مع شخص كبير.

إذ إن التحدث مع الأطفال عن حياتهم الماضية والحاضرة والمستقبلية يشكل مصدر دعم كبير لهم، فيكفون عن الشعور بالوحدة، ويشعرون تدريجيا بأنه في مقدورهم التأقلم مع معاناتهم بشكل أفضل وأن يواجهوا الأوضاع الصعبة. ومن هنا نصل إلى أهمية مساعدة الأطفال على فهم أنفسهم وفهم ما يدور في هذا العالم من حولهم خلال الظروف الصعبة على كافة المستويات وخاصة الانفعالية منها.

وتتمثل أهم الوسائل التي تساعد الأطفال على التعبير عن أنفسهم واكتساب الاستبصارات الانفعالية وإيجاد معنى لمعاناتهم في: الإنصات، والفهم المتبادل، وإعطاء الأطفال فرصا للتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم بحرية تامة. فالإنصات، والتفهم العميق للمشاعر، المتبادل بين الطفل من ناحية، والآخرين من حوله من ناحية أخرى هو البداية في إقامة علاقات وطيدة ومتينة مع الطفل، هذه العلاقة التي يحتاج إليها الطفل لينضج وليخرج من هذه الظروف الصعبة بأقل قدر ممكن من الأضرار النفسية المتوقعة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الإنصات هو إنصات "نوعي" يستلزم استجابات من نوع خاص منا نحن الكبار، وخاصة خلال الظروف الصعبة والأزمات. فيتعين أن يتضمن هذا الإنصات اهتماما خاصا، وانتباها وتركيزا على فردية الطفل، ويتعين أن يتضمن كذلك هذا النمط من الاستجابة استبعاد مقاطعة الأطفال أثناء تعبيرهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم أو تغيير الموضوع أو أي شيء آخر من شأنه أن يحرم الأطفال من البوح عن مشاعرهم بصدق.

وعلى هذا فإن المنصت هو في الحقيقة يريد أن يساعد الأطفال في تنمية النمو الانفعالي لديهم وخاصة في الوصول إلى هدفهم وهو تخليصهم من اضطراباتهم. فأولا وقبل كل شيء هو يريد أن يسمع تعبير الأطفال عن مشاعرهم. وهو يستمع لتلك المشاعر كي يستطيع الإجابة عنها على نحو مرض ومقنع للطفل، وهو يستمع أيضا لكي يشارك هؤلاء الأطفال وجدانيا، ويشعرهم من خلال الحوار معهم، ومن خلال متابعة أحاديثهم أن ما يعبر عنه هؤلاء الأطفال يمكن أن يكون في متناول أيديهم، وبشكل مقبول من الوالدين ومن الأشخاص الآخرين.

بيد أن الإنصات والإصغاء للأطفال والاستجابة لمشاعرهم قد يكون في بعض الأحيان شيئا صعبا، فربما يكون تعبير الأطفال عن مشاعرهم فيه شيء من الاضطراب والتوتر وعدم الاتساق أو ينقصه الدقة، أو ربما يعاني الأطفال خلاله من التناقض الوجداني، وهذه مهمة صعبة تلقى على عاتق المنصت. ولهذا يستطيع الراشد من خلال الإنصات الجيد تحديد جوهر تلك المشاعر وذلك من

خلال سؤال نفسه: "ما هو الذي يعبر عنه هذا الطفل لي؟ ما جوهره؟ وما أساسه؟ وما الذي يريد إخباري به؟".

وفي آخر الأمر يجب أن يشير الراشد أو يوضح للطفل أنه مدرك تماما لمشاعره التي يعبر عنها وأنه يفهمها جيدا. وهاتان المهمتان قد تحدثان ضمنا في بعض الأوقات وبصفة خاصة إذا أدرك الطفل أن المنصت يشاركه وجدانيا، وأنه يتعاطف معه من خلال متابعة حديثه وتفهم مشاعره.

فالشخص الذي يستمع جيدا لمشاعر الطفل على نحو مضبوط مع ما يصحب ذلك من تعاطف ومشاركة وجدانية، ينجح في نقل تفهمه لهذه المشاعر إلى الطفل، ومن هنا ربما يرى الطفل بصورة مختلفة وبطريقة أخرى.

وعلى هذا فالطفل بدوره يعرف ذلك النوع من الأشخاص الذين ينصتون له جيدا ومدى اختلافهم من شخص لآخر. فالطفل يشعر أن هذا الذي يستمع إليه يتشوق لسماعه استماع شخص ند لشخص (كرجل كبير)، في هذا الجو المملوء بالتفهم والتقبل يستطيع الطفل أن يفصح جيدا عن مشاعره الداخلية وعن اتجاهاته في هذا الجو الدافئ الودود.

وعندما يشعر الأطفال بالأمان والطمأنينة في علاقاتهم مع الراشدين يكونون أكثر دافعية للحديث عن أنفسهم وشعورهم بالشجاعة في الكشف عن مشاعرهم واتجاهاتهم نحو أنفسهم وتجاه الآخرين. ومن خلال ذلك الكشف يكتسب الأطفال صفة الوضوح النفسي الأكثر واقعية في إدراكهم لذواتهم.

والحقيقة أن الطفل يستطيع أن يكشف عن / أو أن يعيد اكتشاف مشاعره المرة تلو الأخرى، وبمقدور الطفل أن يعيد صياغة المشاعر والاتجاهات كجزء من إعادة ترتيب عالمه الداخلي.

ومن هذا المنطق يصبح الأطفال في حالة جيدة من خلال حالة الإنصات والتفهم، والتقبل الجيد، ونتيجة لذلك يصبحون أكثر حرية وأوضح تعبيراً. وخلال هذه الفترات من الإصغاء لهم وتفهم ظروفهم وتقبلهم، يكون الأطفال أكثر تفهماً لأنفسهم أو لحقيقة ذواتهم، هذا التفهم له تأثير ذا فاعلية في إخراج أعلى النوعيات والكيفيات من طبائعهم الانفعالية. وفي التخفيف من الأضرار النفسية المتوقعة.

وتأسيساً على ذلك، فإنه يمكن القول بأن أهمية التواصل في الظروف الصعبة تتبع من خلال تلبية الحاجات التالية للطفل:

أ- يقدم الدعم المعنوي للطفل: يمكن أن تخلف الحروب وحالات الطوارئ وراءها آلافاً من الأطفال الذين يحتاجون إلى الدعم المعنوي والمساعدة العملية. الأطفال الذين يفقدون أهلهم، بصورة خاصة، بحاجة إلى كبار يدعمونهم ويقدمون المشورة لهم، بل وحتى الأطفال الذين لم يفقدوا عائلاتهم قد لا يجدون من يسرون إليه بما يشعرون.

ب- يوفر الإحساس بالأمان: فالأطفال الذين يعيشون في ظروف صعبة يمكن أن يكونوا بحاجة إلى من يساعدهم على التغلب على صعوباتهم. وقد يعاني هؤلاء الأطفال أحياناً من الاستغلال الجنسي أو القهر الجسدي، ويحتاجون إلى

أن يخبروا إنسانا ما عن هذه المعاناة، وإذا لم يكن هناك من يستمع للطفل ويساعده فإن الطفل سيبقى وحيدا مع ضائقته.

ج- يساعد الطفل على تكوين الشعور بالراحة: يشعر الأطفال عادة بالراحة عندما يبوحون لأحد ما بما في قلوبهم، أو عندما يستطيعون نقل مشاعرهم بواسطة الرسم أو اللعب. ويصبح الطفل أكثر قدرة على التحمل عندما يجد شخصا كبيرا (أو ربما طفلا أكبر منه سنا) يشاركه حزنه وقلقه.

د- يساعد الطفل على التعامل مع التجارب المريرة: إن توفير فرصة التواصل للطفل خلال الظروف الصعبة، يمكن أن تساعد الطفل على أن يبدأ بالتالي:

- أن يبعد التجارب المريرة- أو يفصلها كليا- عن المشاعر المؤلمة، أي تصبح نظرتة للأمور أكثر واقعية. وذلك من خلال تفريغ الشحنة الانفعالية المصاحبة للخبرة فيغدو الحديث عن الخبرة مع الوقت أقرب إلى الواقعية.
- أن ينظر إلى ما حصل معه بمنظار مختلف، وأن يرى أن لدى الآخرين أيضا مشاكل مشابهة، فيستشعر معنى المشاركة الوجدانية.
- أن يحاول حل مشاكله الراهنة، حيث إنه يستبصر بالأمور ويجد طرقا مناسبة للتعامل معها.
- أن يتطلع تدريجيا نحو المستقبل. حيث إن تجاوزه للخبرة المؤلمة يعطيه الفرصة ليكون أكثر قدرة على التعامل مع الصعوبات في المستقبل ويكسبه المزيد من وسائل التكيف.

ولعله يبدو واضحا الآن، أن الاستماع الإيجابي والفعال يعد أحد أهم المهارات الأساسية للدعم النفسي الاجتماعي، ويعني أن تستمع بهدف إبقاء الآخر متفاعلا في المحادثة بشكل إيجابي، وإشعاره بأنه مرئي وأن ما يقوله مسموع ومفهوم كما يريد هو وليس كما يريد المستمع. ويمكن استخدام عدة تقنيات، مثل الأسئلة المفتوحة والذكية بحسب سياق المحادثة، وكذلك إعادة الصياغة والتلخيص وغيرها. يعد إذن الاستماع بهذا الشكل بوابة لتنفيس المشاعر لدى من يعاني من تجربة ما، وبداية الطريق لتوكيد مشاعره، أي اعتبارها شيئا مفهوما ويمكن التعامل معه، وهو الشرط الأهم لأي دعم نفسي فعال. لذلك، من المهم البداية بكل هذا قبل القفز للنصائح والتوجيهات والحلول، وهو خطأ شائع جدا.

فمن فوائد الاستماع الإيجابي أنه يساعد الشخص على ترتيب أفكاره ومشاعره أيضا، الحديث عنها مع شخص آخر يجعلها خارجة عنه؛ ما يساعد في التعامل معها بعد ذلك. ومن البديهي طبعاً أن تمثيل هذه المشاعر والسلوكيات هو أمر صعب، فهي تتبع من إحساس أصيل بالاتصال مع الآخر والتمثل الوجداني لمعاناته، لكنه أمر يتطور عبر الممارسة كذلك.

ويجب فهم أن الكثير من الحالات النفسية لن تتحسن رغم فعل ذلك. ولذلك ينبغي الوصول لمتخصص نفسي في حال وجود ما يستدعي ذلك (على سبيل المثال لا الحصر: وجود الأعراض لفترة زمنية طويلة، تدهور واضح في الوظائف الاعتيادية أو العلاقات الاجتماعية، اكتئاب شديد، ميل انتحارية،

تصرفات متهورة جدا، إدمان، ذهان وأعراضه مثل الهلوسات). إن الوصمة تجاه كل شيء "نفسي" مازالت حاضرة بقوة، ولذلك وجود شخص مشجع وداعم قد يكفي لإنقاذ الكثيرين. حاول أن تجعل المساعدة تمتد لسلوك التشجيع فقط، فمثلا: ساعد طفلك كي يجد معالجا أو طبيبا جيدا، وساعده لتحديد موعد محدد واعرض عليه الذهاب معه في حال رغب بذلك. هذا كله سيساعده على تجاوز العوائق الإجرائية، والتي هي سبب رئيسي في عدم ذهابه. ساعده أيضا على إيجاد مجموعات دعم (Social Supports) في حال وجودها في مجتمعك، أو أي خدمات أخرى متاحة قد تسهم في التعافي والعلاج في حال وجود تشخيص لاضطراب نفسي.

10- مشكلات التواصل عند الأطفال: التأتأة نموذجا

هناك عدة أسباب لصعوبات التواصل لدى الطفل، بعضها يكون ناتجا عن عوامل داخلية وبعضها الآخر يكون ناتجا عن عوامل خارجية، تتنوع بين أسباب تتعلق بعوامل وراثية، وبيولوجية، وأسباب ترتبط بظروف الطفل المحيطة، وبيئته، وأسلوب تربيته، ومدى انشغال الأهل عنه، أو تواصلهم معه، ونوعية المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه. ولعل من بين الأسباب الشائعة لصعوبات التواصل عند الأطفال ما يلي:

أ- التأخر اللغوي ومشكلات النطق والكلام: قد يعاني الطفل من صعوبات في التواصل بسبب وجود مشكلة لغوية مثل صعوبة في النطق أو عدم القدرة على فهم اللغة بشكل جيد. ويمكن أن يعاني بعض الأطفال من مشاكل في الكلام

عندما يكون هناك ضعف في السمع ونمو بطيء أو إعاقة ذهنية أو الإصابة بالتوحد أو ما يتم تسميته بـ"الخرس الاختياري" (عدم رغبة الطفل في التحدث)، والشلل الدماغي (اضطراب حركي ناجم عن تلف الدماغ). ويعد **التلعثم في الكلام أو التأتأة (Stuttering)** هو أحد أنواع اضطرابات النطق التي قد تعيق قدرة الشخص على الحديث بطلاقة وسنوضح ذلك لاحقاً.

ب- الخجل والتردد: حيث يتفاعل الطفل مع أهله فقط وبشكل محدود، ولا تراه يتفاعل مع أي شخص آخر، ويخجل ويتردد ويتجنب التواجد بين مجموعة أشخاص لا يعرفهم، أو يعرفهم لكنهم من خارج نطاق العائلة، بسبب تردده وخجله، أو كسر أسلوب تعامل أهله معه لثقته بنفسه. ويعد الخجل سمة شخصية وليس مرضاً نفسياً، وقد يصاحبه أعراض جسدية في بعض الحالات كاحمرار الوجه والتعرق، ويمكن أن يؤثر الخجل الزائد على جميع جوانب الحياة وربما يقلل من تقدير المرء لذاته ويهز ثقته بنفسه. وتسرد مؤسسة "بيتر هيلث" بعض الجوانب السلبية التي تتأثر بها حياة الطفل نتيجة الخجل، ومنها: إهدار فرص تطوير المهارات الاجتماعية وعدم القدرة على تكوين صداقات، والعزوف عن المشاركة في الأنشطة الممتعة التي تتطلب التفاعل مع الآخرين، مثل الرياضة أو المسرح أو الموسيقى.

ج- إهمال الأهل للتواصل مع الطفل: يمكن أن تؤدي قلة الاهتمام والتفاعل من الأسرة أو الأشخاص المحيطين بالطفل إلى صعوبات في التواصل، فالطفل يحتاج إلى المرور بتجارب لغوية واجتماعية في الحياة الواقعية، يعرف الأشياء

ويدرك معاني الكلمات، ويلمس العشب، واللعبة، وألا يبقى أمام شاشات التلفاز والجوال طوال الوقت، كما يجب إنشاء حوار مع الطفل يعزز ثقته بنفسه، ويجعله أكثر قدرة على التواصل والتفاعل. ويعاني الكثير من الأطفال من ثنائية اللغة حين يتكلم الأهل بلغة، والمربية بلغة أخرى، فيتوه الطفل بين لغتين، ويتأخر لغويا.

د- المشكلات النفسية والاضطرابات: قد يعاني الطفل من مشكلات نفسية أو اضطرابات مثل القلق أو الاكتئاب، مما يؤثر على قدرته على التواصل. إن بعض الأحداث تسبب ألما نفسيا لا يتحملة الطفل ويدخل في حالة قلق واكتئاب، فالإجهاد العصبي والمعاناة والصدمات تجعل الجرح أكثر عمقا مع براءتهم. وقد أكدت دراسات علم النفس أن طلاق الوالدين أو انفصال الأطفال عن والديهما أو الشجار والضرب والعنف والتنمر وحالات النزوح والكوارث الطبيعية تولد الضغط النفسي لدى الطفل وتؤثر على سلوكه وتكوين شخصيته ويتحول بالتدريج لشخصية حادة أو نرجسية. تلك الحالات تسبب صدمات نفسية للطفل وتحدث تغييرات فسيولوجية تؤثر على صحته العقلية والجسدية. ويتحول الخوف لديهم إلى خوف مرضي بسبب انعدام الأمان العاطفي.

هـ- العوامل البيئية: يمكن أن تؤثر العوامل البيئية مثل الضجة الدائمة، والازدحام ومستوى التوتر والقلق في البيت على القدرة التواصلية للطفل، كما يؤثر ضعف العلاقات الاجتماعية، وأن يمضي طفولته بعيدا عن الناس، في قدرته على التواصل، وكذلك الهيكل الأسري الخاطئ وكثرة النقد أو عدم وجود

الثقة بين أفراد الأسرة، كما يؤثر الانفصال أو الطلاق على التواصل مع الأهل وعندها يحتاج الطفل إلى طرق دعم إضافية.

و- عوامل متعلقة بالصحة الجسدية: تؤثر المشكلات العضوية كمشكلات السمع والبصر والصحة العامة، على قدرة الطفل على التواصل. إذ تعتبر الصحة الجسمية أهم أسباب الحياة السعيدة والمريحة، فالجسم السليم يمنح صاحبه فرصة التطور في الحياة، والقيام بدوره فيها على أكمل وجه، على عكس الجسم المريض، الذي ينشغل بمعالجة آلامه وأوجاعه، فلو تعرض أي جهاز من أجهزة الجسم للمرض، ستتأثر جميع أجهزة الجسم الباقية أيضا، لان الجسم كتلة واحدة، يؤثر ويتأثر ببعضه البعض، كما أن الصحة الجسمية مرتبطة بالصحة النفسية، والصحة العقلية، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

ويضاف إلى كل ما سبق اضطرابات التواصل الأخرى الناتجة عن صعوبات مثل: نقص الانتباه وفرط الحركة والديسلكسيا (أي عسر القراءة وصعوبة التعرف على أصوات الكلام ومعرفة صلتها بالحروف والكلمات وتفكيك رموزها) وتحدث الديسلكسيا بسبب فروقات معينة في مناطق معالجة اللغة في الدماغ. إذن يتبين مما ذكر أن أسباب اضطرابات التواصل لدى الأطفال تتلخص في ثلاثة هي ما يلي:

- إننا لا نشجع التواصل.
- إن الطفل يعاني من مشاكل تمنع التكلم، كالصمم أو مشاكل في النطق أو تأخر في النمو اللغوي أو النمو العام، أو صعوبة في التكلم باللغة المستخدمة في الحديث إليه.
- إن ردود فعل الطفل العاطفية القوية تمنعه من التواصل بسهولة. وتتلخص الأعراض الرئيسية لتأخر الكلام عند الأطفال فيما يلي:
- عدم الثرثرة ببلوغ 15 شهرا من العمر.
- عدم الحديث عن عمر سنتين.
- عدم القدرة على تكوين جمل قصيرة بعمر 3 سنوات.
- عدم القدرة على اتباع التعليمات.
- سوء النطق.
- صعوبة وضع الكلمات في جملة واحدة.

وفي إحدى الدراسات التي نشرتها مجلة "Acta Medica Iranica" عام 2011 والتي أجريت في إيران حول اضطرابات التواصل، ذكرت الدراسة أن اضطراب التواصل يمثل مشكلة ذات نتائج سلبية طويلة الأمد، بحيث يؤثر هذا الاضطراب في الفرد والعائلة؛ بما يتضمن التحصيل الأكاديمي خلال السنوات الأولى من عمر الطفل والاختيارات المهنية في المراحل اللاحقة بعد سن البلوغ، وتذكر الدراسة أن معدل انتشار اضطرابات الكلام الإجمالية بلغ 14.8%، بحيث كانت 13.8% منها اضطرابات متعلقة بصوت الكلام، و1.2% منها

اضطرابات مرتبطة بالتأتأة، و0.47% مشاكل متعلقة باضطراب الصوت، ويختلف نمط انتشار تلك الأنواع الثلاثة من اضطرابات الكلام وفقا لعوامل عدة؛ من بينها تعليم الوالدين، وعدد أفراد الأسرة، والجنس؛ حيث يذكر أن اضطرابات الكلام أكثر انتشارا بين الذكور مقارنة بالإناث، بحيث تصل نسبة انتشاره إلى 16.7% بين صفوف الذكور مقارنة بـ 12.7% للإناث، في حين أن ترتيب الطفل بين إخوته، والديانة، وقرابة الأبوين لم تكن ذات تأثير في نمط الانتشار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلأن التواصل هو الذي يجعل الطفل يندمج مع مجتمعه، ويتلقى تعليمه بسلاسة، كان لابد من الاهتمام الشديد بتعزيز قدرة الطفل على التواصل، والانتباه المبكر من الأهل لأي خلل في مهارات التواصل عند الطفل، واستشارة طبيب نفسي مختص، في مركز صحة نفسية موثوق، للحصول على التشخيص المناسب. علما بأن لمعالجة مشكلات التواصل عند الأطفال، يمكن الاستعانة بتقنيات علاج اللغة والتخاطب، والعلاج النفسي والسلوكي، والتعاون بين المعالج المختص والعائلة والمدرسة والمجتمع لخلق بيئة تدعم التطوير اللغوي والاجتماعي للطفل.

وعلى ذلك يمكن الوقوف على العديد من الطرق التي ينصح بها المعالجون الأهل لتعزيز التواصل بينهم وبين أطفالهم، ومنها ما يلي:

أ- شجعوا أطفالكم على التعبير عن مشاعرهم، لا تسكتوهم بالصراخ إن حاولوا التعبير عن رأي، أو سألوا سؤالاً، فعلى الأهل أن يظهروا اهتمامهم، بما يقوله الطفل، ويستمعوا له ولمشكلاته.

ب- لا تغمروهم بالأشياء والألعاب، وتجعلوا كل ما يريدونه في متناول أيديهم، ضعوا أشياءهم المفضلة في صندوق وضعوه في مكان لا يتمكنوا من الوصول إليه، لكنهم قادرين على رؤيته، لماذا؟! لأننا نريد أن نجعل الطفل يطلب ما يريده، ويعتاد على التعبير عن رغباته، وإن اكتفى بالإشارة إلى اللعبة، على الأم أن تتظاهر بأنها لم تفهم ما يريد، وتستغزه حتى يقول اسمها، فتحضرها له.

ج- أسماء الأشياء حول الأطفال وفي الكون حوله يتعلمها، ولا يولد وهو يعرفها، لذلك علينا كأهل أن نعلمه تسميات كل ما حوله، فنستمر بذكر اسم أي شيء يلمسه، أو يوجد حوله طوال الوقت، حتى إن لم يذكره، فهو يمتص اللغة ثم تراه يستعملها.

د- عندما تتكلم مع طفل، لا تتكلم بصوت عال، ولا تتكلم بسرعة، تكلم بصوت معتدل، ووضوح وبطء، وضح مشاعرك، وأخبره بما تتوقعه منه بهدوء ودون انتقاد، أو هجوم، واهتم بالتواصل البصري بينك وبينه.

هـ- العب مع طفلك وتكلم معه عن اللعبة، هذه سيارة، لونها أصفر، نبدأ بكلمة، ونضيف عليها كلمة بعد أن يتقنها، ونخلق من مواقف الحياة اليومية، طرائق للتواصل مع الطفل، مثلاً: وأنا أقوم بترتيب المنزل أقول له: أترى، قميص متسخ، نضعه في سلة الغسيل.... حيث نزيد إدراكه لما يجري حوله إضافة إلى لغته.

و- تحديد الحدود والقواعد: للفوضى آثار سلبية كثيرة على الطفل والأسرة، لذلك كان إيجاد روتين للطفل، عليه أن يلتزم به الأثر الأكبر في نموه السلوكي بشكل

سليم، كتحديد وقت النوم، والأكل، والشرب، واللعب؛ لأن وضع حدود وقواعد معينة للتواصل والتفاعل بين الوالدين والأطفال، يساعد في توضيح الخط الفاصل بين السلوكيات المقبولة والمرفوضة، ويعزز التواصل ونمو الطفل.

ز - الاهتمام والمتابعة وإظهار الثقة والاحترام والتفاعل والحوار البناء، ومحاولة دمج الطفل بالمحيط والبيئة وإقامة علاقات اجتماعية، وتعزيز أساليب التعاون واللعب مع أقرانه، والتشارك.

ح- عملية اكتساب اللغة وتعزيز التواصل الاجتماعي عملية مستمرة ويجب المثابرة والتركيز على تدريب الطفل منذ صغره حتى لا يصاب بصعوبات التواصل.

ط- الحصول على التشخيص المبكر يجعل العلاج أسهل وأكثر فاعلية، ومن المؤلم أن يصل الطفل إلى عمر المدرسة وأهله لم يلاحظوا أن لديه صعوبات تواصل، ربما كان لديه مشكلات دماغية، أو مشكلة سمع، أو نطق، أو صعوبات نفسية، وغيرها.

ي- لذلك لا بد من الحصول على استشارة مختص لتحديد السبب والبدء في الخطة العلاجية.

ويصاب الكثير من الأطفال في وقت من الأوقات من سن ٢- ٤ أعوام بفتره من التأتأة أو التعثر عند التحدث. والأمر لا يتجاوز في حالة غالبية الأطفال تعثر الطفل بالكلمات وهذا أمر سيختفي من تلقاء نفسه. وقد تأخذ التأتأة مظاهر توقف الطفل أو تعثره عند التلفظ ببعض الأصوات، مثل ت- ت- تعال، أو

«يعلق» أو يعيد الكلمات أو يضيف أصوات الشك مثل آآ أو مم أو يمد بعض الحروف، مثل ك-ك-ك-ك-ك، أو أن يتعطل الحديث تماما. وكثيرا ما تأتي التأتأة في بداية الكلمة أو الجملة. وفي حالة الغالبية العظمى فإن حالات التعثر هذه تختفي من تلقاء ذاتها. ويقدر الخبراء أن ما بين خمسة وعشرة في المائة من جميع الأطفال مصابون بهذا النوع من المشاكل عندما يتعلمون التحدث. والتأتأة عند الكبار أكثر ندرة. حوالي واحد في المائة من جميع الكبار يتأتون وهذا ينطبق في الأغلب على الرجال. إن كان الطفل متوترا أو يشعر بالضيق عند الحديث أو إن كان الحديث «يعلق» تماما أو إن كانت التأتأة تأتي غالبا أو تشتد حدتها فقد يستفيد الطفل من التواصل مع اختصاصي معالجة النطق. بإمكان مركز رعاية صحة الأطفال توفير مثل هذا التواصل. ولا يعرف أحد بالضبط ما هو سبب التأتأة ولكن العلماء يعتقدون أن لها علاقة بإشارات الدماغ إلى العضلات المستخدمة عند الحديث. وإن لم يتأتى الشخص فإن حركية النطق يتحكم فيها مثلا النصف الأيسر من الدماغ في حين أن هذه الحركية يتحكم فيها كلا نصفي الدماغ عند من لا يتأتى. وقد يكون لهذا أثره على الإشارات كي تصبح أقل دقة وسلاسة. كما أن العلماء يعتقدون أن التأتأة العابرة عند تعلم الطفل الحديث مرتبطة بنمو الدماغ. ولا تتولد التأتأة إطلاقا بسبب شخصية الوالد أو كيفية حديثه مع طفله. ولا تخبرنا التأتأة شيئا عن شخصية الطفل، فمن يتأتى ليس هم من يشعرون بالارتعاب أو ذلك الطفل الذي يريد فعل الصواب. كما أن سبب هذا لا يعود إلى تدليل الطفل

أنه أو قد أصيب "بعدوى" من أحد الأصدقاء أو الإخوة. وإن تأتأ طفلك لفترة فبإمكانك دعمه من خلال خفض وتيرة حديثك وتوفير فرصة حديث لطيفة معاً، مثلاً من خلال قراءة القصص مساءً ومن خلال ترك الطفل يكمل حديثه حتى إن تعثر في حديثه، دون أن تدع نفسك تسيطر وتملاً الفراغات.

وفي واقع الأمر لم يجد الخبراء طريقة حتى الآن لمنع حدوث اضطرابات الكلام عند الأطفال، ولكن يعتبر اكتشاف المشكلة في وقت مبكر واتخاذ الإجراءات اللازمة بشكل سريع من أهم خطوات التغلب على المشكلة، وذلك من خلال مساعدة الطفل على النمو والتطور بشكل جيد، والتعامل مع الأمور المتعلقة بالمدرسة، وتحسين نوعية حياة الطفل، وفي الحقيقة يمكن اتباع بعض النصائح التي قد تساهم في الوقاية من حدوث اضطراب الكلام عند الأطفال أو الكشف المبكر عنه على الأقل، ومن أهمها؛ الحرص على عدم تناول الأدوية والعقاقير خلال فترة الحمل، والاستمرار في التحدث مع الطفل في مختلف الأوقات بالإضافة إلى مشاركته القراءة، وإجراء الفحوصات اللازمة للتأكد من سلامة الأذن وحاسة السمع عند الطفل بانتظام، والعمل على تعلم كيفية تطور اللغة والكلام عند الأطفال، والتأكد من ارتداء الطفل للخوذة ووضع حزام الأمان عند اللزوم لتفادي التعرض إلى إصابات في الدماغ.

تعقيب:

التواصل عملية اتصال تسير في اتجاهين، وهي تشمل على ما يلي:

- محاولة فهم الأفكار والمشاعر التي يعبر عنها الآخرون.
- الاستجابة (أو الرد) بطريقة ناعمة ومساعدة.

وهذا يعني أن قيام تواصل جيد يحتاج إلى ما يلي:

- مهارات الإصغاء إلى الآخرين ومراقبتهم، وفهم الرسالة التي يعبرون عنها.

- مهارات في إيصال أفكاركم ومشاعركم بطريقة مساعدة.

وتشكل هذه المهارات جزءا من الحياة الاجتماعية اليومية العادية. أما عندما نجد أنفسنا أمام شخص مضطرب يحتاج إلى دعمنا، وخصوصا إذا كان طفلا، فعلى أن نفكر جيدا في كيفية الاستجابة بأفضل الطرق الممكنة.

إن حياة الأطفال الصغار جدا تدور حول محور العائلة والأشخاص الذين يعتنون بهم. ويعتمد تطور الطفل، ذكرا كان أم أنثى، على مقدار الاهتمام والرعاية الذي يوفره له هؤلاء الأشخاص. وينمو الطفل ويتطور، جسديا وعاطفيا، من خلال التكلم واللعب ومراقبة الآخرين والمشاركة في حياة الأسرة. ومع نمو الطفل ينمو أيضا فهمه للغة وقدرته على التعبير عن أفكاره ومشاعره. وفي معظم المجتمعات إن لم يكن كلها، سرعان ما يقيم الطفل شبكة من العلاقات مع أشخاص من مختلف الأعمار، من الكبار والصغار. فضلا عن أفراد الأسرة المباشرين (الأم والأب والإخوة) يتعلم الأطفال إقامة التواصل مع

أفراد العائلة الكبرى (الأقارب) والأصدقاء والجيران. وهم يحتاجون إلى هذه الفرص الاجتماعية الغنية بقدر حاجتهم إلى إرشاد وتوجيه من الكبار الأقرب إليهم لكي يتطوروا عاطفياً وفكرياً.

وكثيراً ما لا يخطئ الكبار عندما يظنون بأن الأطفال دون السابعة أو الثامنة من العمر أصغر من أن يلاحظوا ما يحصل حولهم أو أصغر من أن يتمكنوا من نقل أفكارهم ومشاعرهم إلى الآخرين. ويفترض كبار كثيرون أن الأطفال لا يشعرون بضائقة الآخرين ولا يتأثرون بالأحداث الخطرة أو الحزينة، فتراهم بالتالي لا يشرحون لهم شيئاً. وهم يتركون الطفل وحده مع ذكريات أليمة مثلاً، أو دون شرح أسباب الاختفاء المفاجئ لأحد أفراد العائلة (بالموت أو الاعتقال على سبيل الذكر لا الحصر)، وبدون توضيح من سيعتني به بعد حصول ما حصل.

والواقع أن الأطفال يعيشون، منذ لحظة الولادة، ضمن مجموعة اجتماعية. وهم شديدو الحساسية إزاء المناخ العاطفي المحيط بهم وإزاء تصرفات الآخرين. وحتى عندما لا يستطيع الأطفال الصغار التعبير بالكلمات عن مشاعرهم أو أفكارهم فإنهم يعبرون عنها بشكل غير مباشر من خلال سلوكهم وطريقة لعبهم ورسومهم، أو من خلال أحلامهم وكوابيسهم. فمن خلال هذه التعبيرات، يطرحون أسئلة عن وضعهم أو أحول الناس الآخرين. وعلينا أن نقبل أن الطفل يعبر عن مشاعر القلق أو الحزن من خلال السلوك (كالانفعال مثلاً أو الاستيقاظ ليلاً) أكثر مما يعبر عنها بالكلمات.

إن مساعدة الأطفال تتطلب أن نمتلك حساسية مرهفة تجاه هذا التواصل "غير المباشر" وأن نوفر الفرص للعب والأنشطة الإبداعية التي يمكن أن يعبر الأطفال من خلالها عن أنفسهم. ونحن نتوقع التواصل أن يصحب نمو الأطفال نمو في قدراتهم على التواصل وحل المشاكل وتحمل المسؤولية وإنجاز واجباتهم المدرسية ... إلخ. وكثيرا ما يتوقف هذا التطور عند الأطفال الذين يعيشون حالات الحروب أو الكوارث، بل إن الأطفال قد يتراجعون في إنجازاتهم.

وقد يتوقف الأطفال الأصغر سنا عن الكلام أو يأخذون بالتأتأة، وقد يعودون إلى التبول في الفراش ويشعرون بالخوف من الانفصال عن أهلهم. أما الأطفال الأكبر سنا فقد يفقدون خبراتهم الاجتماعية والتعلمية العادية. وهم يجدون صعوبة في الدراسة وفي تكوين الصداقات ويرغبون في أن يعاملوا كالأطفال الأصغر سنا. وعلى سبيل المثال، فقد يصبح مزاج المراهق وطلباته شبيهة بمزاج وطلبات الطفل ابن الثلاث سنوات. ويصبح علينا أن نؤقلم طرفنا في التواصل مع هؤلاء الأطفال، كما يكون علينا القبول بالحاجة إلى معاملتهم كما لو كانوا أصغر سنا. ومن الضروري جدا، بالنسبة لكل طفل، استمرار وجود واحد على الأقل من أفراد العائلة أو من الأشخاص المألوفين لديه إلى جانبه. ولهذا أهميته الخاصة جدا بالنسبة للأطفال الصغار الذين يجدون صعوبة بالغة في أن يتقوا بشخص غير مألوف وفي أن يتواصلوا معه. ومن الضروري أيضا أن يحصل الطفل على الدعم المعنوي من جماعة من الأطفال أو اليافعين، وعلى صداقتهم. وعلى الرغم من أننا هنا (في هذا الفصل) نركز على مساعدة الكبار للأطفال، فإن الأولاد

يمكن أن يقدموا إلى أطفال آخرين من العمر نفسه المساعدة والعزاء أيضا. ومن هنا تأتي أهمية التعرف إلى الأطفال الذين لا أصدقاء لهم ومساعدتهم من خلال تشجيع المناقشات والأنشطة الجماعية.

إن عملية التواصل مع الأطفال وفهم احتياجاتهم العاطفية ليست أمرا معقدا ولا بسيطا كما يظن بعض الأشخاص؛ إنها عملية تتطلب الاهتمام والالتزام، ولعل أعقد ما في الأمر هو كون المربين قدوة لأطفالهم، الأمر الذي يحتم عليهم الانتباه لكل أقوالهم وأفعالهم، فالأطفال مرآيا لهم وانعكاس لجميع أساليبهم وتصرفاتهم.

ولتحقيق هذا الهدف، يمكن الاستفادة من العديد من النصائح والإرشادات المتاحة في الأدبيات العلمية والتطبيقية، والتي تهدف إلى تعزيز قدرات التواصل مع الأطفال. ومن بين هذه النصائح، التحلي بالصبر والتفهم، وتوفير بيئة آمنة ومريحة للأطفال، واستخدام اللعب والأنشطة التفاعلية لتحفيز التواصل والتفاعل معهم.

وباستخدام هذه النصائح والإرشادات، يمكن للأهل والمربين والمعلمين والأخصائيين في مجال الطفولة المبكرة تحسين قدراتهم في التواصل مع الأطفال، وبالتالي تحقيق أهدافهم في تعزيز نمو وتطور الأطفال في مختلف المجالات.

وهناك العديد من الطرق التي يمكن استخدامها لكسب ابنك، والتي تشمل على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي:

- **الاهتمام والحضور:** قضاء وقت كافي مع ابنك والاهتمام به والاستماع إلى ما يقوله يمكن أن يعزز الثقة والعلاقة بينكما.
- **التحدث بشكل صريح وصادق:** يجب التحدث إلى ابنك بشكل صريح وصادق وشجعه على القيام بذلك أيضا. يجب أن تكون واضحا في التعبير عن مشاعرك وأفكارك وما يحدث في العائلة والمجتمع بطريقة تكون مناسبة لعمره.
- **الإيجابية:** يجب دعم ابنك وتشجيعه في الأنشطة التي يشارك فيها والمجهودات التي يقوم بها. عند إشادته بما يقوم به، سيشعر بالثقة والاحترام.
- **الاحترام:** يجب عليك أن تحترم ابنك وتعطيه المجال ليتعلم وينمو بنفسه. لا تقوم بالتدخل في جميع أنشطته، بل دعه يتعلم من خلال خطأه وتجاربه.
- **القيام بالأنشطة معا:** قم بالمشاركة في الأنشطة التي يحبها ابنك، وقم بتعزيز التفاعل بينكما من خلالها. يمكنك القيام بالأنشطة الرياضية أو الفنية مثل الرسم والطبخ والموسيقى.
- **تقديم المشورة والدعم:** يجب توفير المشورة والدعم لابنك والمساعدة في حل المشاكل والصعوبات التي يواجهها. يمكن أيضا تقديم الدعم المعنوي والعاطفي في الأوقات الصعبة.

• **طرق أخرى لكسب ابنك:** يجب أن تتحلى بالصبر والتقاني في التواصل مع ابنك، وتعزيز العلاقة بينكما عن طريق الاهتمام والاحتواء. حاول أن تظهر مدى حبك ورعايتك له قدر الإمكان، قبله واحتضنه عند قدومك أو خروجك من المنزل، كن بجواره في كافة الأوقات سواء احتاجك بجواره أم لا، فأنت مصدر قوته الأول ومثله الأعلى، لذلك لا بد أن تكون على قدر هذه المسؤولية.

وختاماً: إن تنمية مهارات الطفل الاجتماعية تعد من الأمور المهمة للغاية التي يواجهها الأهل مع أطفالهم، فصلل الشخصية ودمجها في المجتمع بالأساليب الصحيحة تعتبر من الضروريات التي تنعكس إيجابياً أو سلبياً على شخصية الطفل. ولذلك، من الواجب حتماً مساعدتهم على التواصل مع الآخرين بروح إيجابية ورفع قدرتهم على التفاعل بشكل إيجابي لحمايتهم من الاضطرابات النفسية والعنف والانحراف والوحدة وغيرها.

المراجع

• المراجع العربية:

- 1- أحمد شيخاني، الأطفال والحرب: الدعم النفسي الاجتماعي للأطفال خلال الأزمات والكوارث، مركز التفكير الحر، جدة، 2014.
- 2- آمال صادق؛ وفؤاد أبو حطب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2017.
- 3- آمال عبد العزيز مسعود، مهارات التواصل لدى طفل الروضة وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 19، العدد 1، 2018.
- 4- توماس فريدمان، العالم مسطح: تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006.
- 5- توماس فريدمان، عالم حار ومسطح ومزدحم: لماذا يحتاج العالم إلى ثورة خضراء وكيف يمكنها أن تجدد مستقبل عالمنا، ترجمة: هاني تابري؛ ونورما نابلسي، أكاديمية انترناشونال، بيروت، 2016.
- 6- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، دار المعارف، القاهرة، 1986.
- 7- خالد بن سعود الحليبي، مهارات التواصل مع الأولاد: كيف تكسب ولدك، ط1، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، 2009.

- 8- صالح عبد الكريم، فن تربية الأبناء: كيف نربي أبناءنا تربية نفسية سليمة؟،
الراية توب للنشر والتوزيع، الجيزة، 2011.
- 9- عبد الرحمن العيسوي، اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ط1،
موسوعة كتب علم النفس الحديث، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000.
- 10- عبد الوهاب جودة الحاييس، تقدير الاحتياجات الأساسية للسكان المحليين
كمدخل للتنمية الشاملة، دراسات في التنمية والمجتمع، العدد الثالث، 2015.
- 11- عزيز سمارة وآخرون، سيكولوجية الطفولة، ط3، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع، عمان، 1999.
- 12- محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون، الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة،
إشراف ومراجعة: عزيز حنا داود، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981.
- 13- محمد محمود بني يونس، سيكولوجية الطفولة المبكرة: نحو الاستثمار
الأمثل في تربية الطفولة المبكرة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،
2005.
- 14- نعومي ريتشمان، التواصل مع الأطفال في ظروف الضيق والنزاعات،
ترجمة: عفيف الرزاز، مراجعة وتحريير: غانم بيبي ويوسف حجار، ط1، ورشة
الموارد العربية، نيقوسيا، غوث الأطفال البريطاني (UK) SCF، بالاشتراك مع
بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1999.

• المراجع الأجنبية:

- 1- Alexandra Lange, The Design of Childhood: How the Material World Shapes Independent Kids, Illustrated Edition, Bloomsbury Publishing, London, 2018.
- 2- Amy Elizabeth Olrick & Jeffrey Olrick, The 6 Needs of Every Child: Empowering Parents and Kids through the Science of Connection, Illustrated Edition, Zondervan, Grand Rapids, Michigan, 2020.
- 3- Carolyn McLeod & Francoise Baylis (Eds.), Family Making: Contemporary Ethical Challenges, Oxford University Press, Oxford, 2014.
- 4- Elisa Morgan & Carol Kuykendall, What Every Child Needs: Meet Your Child's Nine Basic Needs (And Be a Better Mom), Zondervan, Grand Rapids, Michigan, 2000.
- 5- Frances L. Van Voorhis et al., The Impact of Family Involvement on the Education of Children Ages 3 to 8: A Focus on Literacy and Math Achievement Outcomes and Social-Emotional Skills, MDRC | Building knowledge to Improve Social Policy, New York, 2013.
- 6- Gregory E. Miller et al., Psychological Stress in Childhood and Susceptibility to the Chronic Diseases of Aging: Moving Towards a Model of Behavioral and Biological Mechanisms, Psychological Bulletin, 137 (6), 2011.

- 7- Jane Anderson, The Impact of Family Structure on The Health of Children: Effects of Divorce, The Linacre Quarterly, 81 (4), 2014.
- 8- Juho Harkonen et al., Family Dynamics and Child Outcomes: An Overview of Research and Open Questions, European Journal of Population, 33, 2017.
- 9- Lee G Lovett, Stuttering & Anxiety Self-Cures: What 1000+ Stutterers Taught Me, 2nd Edition, CreateSpace Independent Publishing Platform, Scotts Valley, California, 2017.
- 10- Magdalena Battles, Let Them Play: The Importance of Play and 100 Child Development Activities, Independently published, Chicago, 2019.
- 11- Ryan Watkins et al., A Guide to Assessing Needs: Essential Tools for Collecting Information, Making Decisions, and Achieving Development Results (World Bank Training Series), 1st Edition, World Bank Publications, Washington, 2012.
- 12- Sedighah Akhavan Karbasi et al., The Prevalence of Speech Disorder in Primary School Students in Yazd-Iran, Acta Medica Iranica, 49 (1), 2011.
- 13- Stephen Palmer & Kristina Gyllensten (Eds.), Psychological Stress: Resilience and Wellbeing, 1st Edition, SAGE Publications Ltd, Thousand Oaks, California, 2015.